الإسراء

مجلة إسلامية شاملة
تصدر عن الإدارة العامة للتوعية الإسلامية

العدد الثامن والعشرون 28 رمضان شوال 1431هـ
العام الميلادي 2010م

هدية

الإسراء

مجلة إسلامية شاملة

تصدر مرة كل شهرين عن دار الإفتاء الفلسطينية ـ القدس

العدد 92 رمضان ـ شوال 1431 هـ وفق أيلول ـ تشرين الأول 2010 م

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ

المشرف العام

الشيخ محمد أحمد حسين

رئيس التحرير

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله

سكرتير التحرير

أ. عطا الله عبد الله فلاحين

هيئة التحرير

د. إسماعيل نواهضة

أ. د. حسن السلوادي

د. حمزة ذيب

د. سعيد القيق

د. شفيق عياش

تصميم ومونتاج : يوسف تيسير محمود

المراسلات: مجلة الإسراء ، مديرية العلاقات العامة والإعلام ، دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب : 20517 ـ القدس / ص.ب : 1862 رام الله ـ تلفاكس : 02 ـ 6262495 / 02 ـ 2348603

موقعنا على الإنترنت : www.darifta.org للمراسلة على البريد الإلكتروني : israa@darifta.org

ملحوظة : ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه فحسب

فهرس العدد

افتتاحية العدد

رمضان موسم للطاعة لا للعصيان	الشيخ محمد أحمد حسين	4

كلمة العدد

المسارعة إلى الخير في رمضان	الشيخ إبراهيم خليل عوض الله	10

ملف العدد

رمضان مائدة الفقراء ومأدبة المساكين	الشيخ عمار توفيق بدوي	16
رمضان شهر النفحات والبركات	الشيخ حسن أحمد جابر	26
الصوم صلة مع الله	الشيخ محمد سعيد صلاح	30
هل يعود رمضان كما كان؟	الأستاذ كمال بواطنه	36
جواز تقديم صيام الأيام الستة من شوال على قضاء رمضان	الشيخ إحسان عاشور	40
حكم إفطار الحامل والمرضع في رمضان	الشيخ أحمد ذياب عطايا	42

زاوية الفتاوى

أنت تسأل والمفتي يجيب	دار الإفتاء الفلسطينية	50

فهرس العدد

من هنا وهناك

شمول مفهوم العبادة في الإسلام	الشيخ علي أحمد مصلح	57
مسؤولية الطبيب الجنائية في الشريعة	الدكتور محمد دودين	68
الشباب أمل الأمة وعماد نهضتها	الأستاذ يوسف خليفة	77
أخطاء الخطباء !!	الأستاذ ياسين السعدي	83
دراسات في الاقتصاد الإسلامي	الأستاذ لبيب طه	88

شؤون أسرية

الزواج حكمه وحكمة مشروعيته	الدكتور شفيق عياش	93
ثمانية فرص ذهبية لنجاح الحياة الزوجة	الأستاذ إسلام محمد أبو اهليل	97

نشاطات

مكتب المفتي العام ومراكز دار الإفتاء	الأستاذ مصطفى أعرج	99
مسابقة العدد 92	أسرة التحرير	110
إجابة مسابقة العدد 90	أسرة التحرير	111

الكتابة لمجلة الإسراء

ضوابط يجب مراعاتها عند الكتابة لمجلة الإسراء	أسرة التحرير	112

رمضان موسم للطاعة لا للعصيان

الشيخ محمد أحمد حسين / المشرف العام

في شهر رمضان المبارك، يوجد الصائم القائم، ويوجد صاحب المعاصي والآثام، فإذا عبد المرء ربه كأنه يراه، فهو المحسن، وما دون ذلك درجات، فمن صام عن الطعام والشراب ولم يصم عن الرفث والغيبة والنميمة، فقد خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ومن كفَّ عن الصيام والصلاة دون عذر فهو على صعيد آخر مناقض للإيمان والتقوى والصلاح، ويضم هذا الصعيد المجاهرين بالمعاصي، والمفسدين في الأرض، وإن ظنوا في أنفسهم الصلاح والحضارة، وزعموا المدنية والتقدم، والله تعالى يؤكد حقيقة تصنيف الناس إلى مصلحين ومفسدين، فيقول سبحانه: {الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ}(1).

والله تعالى توعدهم، فقال سبحانه: {الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ}(2).

وقد يغتر المفسدون بحالهم؛ فيظنون أن أعمالهم الضالة تصب في معين الصلاح، لكن الله يقرر أنهم مفسدون بانحرافهم، وإن كانوا لا يدركون هذه الحقيقة، فيقول تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ* أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ}(3).

ولا تقتصر الأعمال والأقوال التي تتنافى مع روح الطاعة ومقتضاها، على ما يصدر من بعض الناس في رمضان على مستوى السلوك الخاص، الذي تختلط فيه أحياناً صلاة بعض الناس وصيامهم ببعض الشوائب، وإنما تسود بعض الظواهر السلبية في رمضان في كثير من بلاد المسلمين ومجتمعاتهم، فتجد الترويج لأعمال فنية خاصة برمضان قبل

حلوله بشهور عدة، ويظن المرء لأول وهلة أن ما يجري دليل على الاهتمام برمضان ويتعلق بالقرآن والسنة والطاعة والعبادة، لكنه لا يلبث أن يُصدم حين يطّلع على مادة الاهتمام ونوعها وشكلها، التي تتناقض تماماً مع أهداف رمضان وروحه، ويراد لمحصلتها أن تشغل الناس فيه عن مسار الطاعة إلى مسار العصيان، وتبعدهم عن استشعار خيرات الصيام وفضائل القيام، بحجة التسلية وقتل الوقت بوسائل ما أنزل بها من سلطان، حتى أضحت شريحة لا يستهان بعددها من الصائمين مشغولة بالأعمال الفنية، وبأنواع المسلسلات الدرامية والكوميدية على حساب أوقات الطاعة والسنن.

فمن غرائب الأمور ومنكراتها أن يستقبل شهر رمضان بما يمثله من روحانيات وشعائر تعبدية ومدرسة تربوية لسلوك الناس، بالتحضير له بما يشغل الناس فيه عن الطاعة والعبادة، واستبدالهما بالمعاصي والآثام، حيث تتبارى جهات فنية كثيرة في إنتاج مسلسلات وطرح برامج للتسلية والدراما تستحوذ على كثير من ساعات الليل والنهار، وتبلغ ذروتها في الساعات المخصصة لقيام الليل وذكر الله وتسبيحه، حتى أن بعض الناس يترك صلاة التراويح أو يصليها متثاقلاً ويتمناها تمر مرَّ السحاب، وباله مشغول بالمسلسل الذي تُعرض حلقاته متزامنة مع وقت الصلاة أو قبلها أو على إثرها، والله تعالى يحذر من الرغبة بالشهوات عن الصلاة، فيقول سبحانه: {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً}(4).

ويتحمل المسؤولية عن هذا التداخل والتشاحن بين الطاعة والعبادة وأعمال التسلية بأنواعها وأشكالها المختلفة جهات عدة، فمنتجو تلك الأعمال قد تطغى على أهدافهم المقاصد النفعية والمادية التي يسعون لجنيها، إضافة إلى الفوز بالشهرة والتفوق على الجهات المنافسة، وقد يذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك حين يتجندون لاستهداف قيم الصائمين والمصلين ومعتقداتهم، عن طريق إغوائهم بتزيين المنكرات، والإيقاع والعزف على أوتار الشهوات والأهواء، لينتقلوا بهم من الانجذاب إلى الإيمان والصلاح

والتقوى وفق معايير الدين، إلى حال الانحراف والغواية، التي تعهد إبليس بالعمل لها، وحشد الناس إليها، مصداقاً لقوله تعالى: {قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ* قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ* قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ* ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}(5).

وقد تعهد إبليس أن يزين لبني آدم طرق الغواية عن الحق والهدى والصلاح، فقال سبحانه على لسانه: {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}(6).

وقد أقسم إبليس برب العزة على التزامه بإغواء الناس، قال تعالى:{قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}(7).

فمن عمل على إغواء الناس عن الحق والاستقامة والطهر، وإشغالهم عن الطاعة بالعصيان، ينطبق عليه ما قيل في إبليس، وذلك بغض النظر عن الأسماء والمسميات، فهو في ركابه يسير، وعلى منواله ينهج، ويتكامل بالدور معه، ويوم القيامة يتبرأ إبليس وزبانيته ممن انطلت عليهم حيل الإغواء، وقد أخبرنا الله عن ذلك، فقال جل شأنه: {قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلاَء الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ}(8).

ومما لا شك فيه أن الحكومات والجهات المسؤولة عن ضبط الأمور في المجتمعات، تتحمل واجباً عظيماً ومسؤوليةً كبيرةً تجاه حراسة أمن القيم والعقائد والعبادات التي شرعها الله، فهي صاحبة الأمر والنهي، والإذن والمنع، فيما يجري في ربوع سيطرتها ونفوذها، وقد يخرج علينا معترض، محتجاً بأن الحفاظ على الحريات الشخصية للناس أمر مقدس، وأن منهج منح الحريات يقتضي السماح لمن هبَّ ودبَّ بأن يعرض وينشر، كما يحصل في الدول الغربية التي نشرت الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم، والتي تذرعت بالحريات لفتح هذا الباب على مصراعيه، دون حسيب أو رقيب، ولو سلمنا جدلاً بحق الحريات على هذا النحو، فإننا نجد تناقضاً واضحاً وضوح الشمس، إذ

تحترم الحريات في مجالات كانتهاك الحرمات بالنشر والعرض، وتُكبل وتُعطل حين تتعلق بآراء الناس وأفكارهم، وأداء شعائر دينهم والعمل بأحكامه؛ في لباسهم ومظاهرهم، والدعوة لنشر القيم والدفاع عنها في كثير من ربوع الأرض وأصقاع الدنيا، فكم من فكرة أو قضية يمنع الحديث عنها، ولا تنعم بنور النشر والعرض بحجة كذا وكذا، ولكن عند تجاوز حدود اللياقة مع القيم والآداب في اللباس والاختلاط وفسوق التصرفات والأفعال، تُيسَّر الأمور، وتُفتح الآفاق، وتُسهَّل سبل الدعاية والترويج.

فشتان بين من يعمل للطاعة في رمضان، وبين من يستهدفه بالعصيان وانتهاك الحرمات، ولكلٍ أتباع، فمن تبع هدى الله فلا يضل ولا يشقى، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ومن ضل فإنما يضل على نفسه، وقد غوى في الجحيم.

ونود التوضيح أن الموقف الشرعي من الأعمال الفنية إنما يتحدد في ضوء مراعاة ضوابط الشرع وقيمه وأحكامه، فما توافق معها فهو المباح، وما تعارض معها فهو المرفوض، وإن تلقته حشود من الناس بالقبول، إذ العبرة بمعروف الشرع لا معروف الأهواء والأمزجة، والله خلق الناس بأرواحهم وأجسادهم وعقولهم وغرائزهم وعواطفهم وميولهم، وفي الوقت نفسه شرع لهم ضوابط وأحكاماً وقيماً تحول دون الانجرار وراء الشهوات بلا كوابح، وقد وصف الله تجاهل الانضباط في التعامل مع الأهواء والشهوات بالغواية والضلال، فقال تعالى: {فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}(9).

وحذر الله من الانخداع بإغواء أهل الشهوات، فقال تعالى: {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً}(10).

ووردت آيات كثيرة تحذر من الانصهار في بوتقة أصحاب الأهواء، ومن تلك الآيات، قوله تعالى:{ ... وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ}(11).

وقوله سبحانه:{...فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ...}(12).

وقوله جل شأنه: {وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ...}(13).

وقوله عز وجل:{وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ }(14).

وبالنسبة لما يعلن عما ستعرضه بعض القنوات الفضائية والمحطات التلفازية في رمضان، لا بد من القول إنه إذا كانت قنوات الناس وحكوماتهم لا تأبه بأحكام الشرع وآدابه، فإن قنوات المسلمين ينبغي أن تراعي خشية الله فيما يعرض على سمع الناس وأبصارهم وعقولهم وقلوبهم، من برامج ومواد إعلامية من حيث الأهداف والمضامين والوسائل والأساليب والأوقات والظروف والأحوال، وذلك إن أرادت أن تغرد في سرب عموم مجتمعاتها، حيث يتطلع سوادهم للعيش في ظل مرضاة الله، سعياً لنيل حسن جزائه في داريْ الدنيا والآخرة.

والمسؤولية عن الموقف مما يعرض عبر القنوات الفضائية ووسائل الإعلام ليست محصورة على أصحاب القرار والإنتاج والعرض، بل تشمل المشاهدين وأولياء الأمور ومؤسسات المجتمع المدني، إذ إن الله تعالى وجههم لتحمل أمانة المسؤولية عما استرعاهم، فقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}(15).

فأولياء الأمور يتحملون واجباً عظيماً في تسهيل سبل الطاعة وتيسيرها لأبنائهم وبناتهم وأزواجهم وإخوانهم وأخواتهم، وفي صرف الغواية عنهم، وهذا الواجب لن يكون سهلاً في كثير من الأحيان والأحوال، فهو يتطلب مواجهة مع أهواء النفس، ومع التيار الجارف نحو الغواية في المجتمع والبيئة المحيطة، التي لم تعد محصورة في حدود جغرافية

محدودة، إذ أصبح البعيد قريباً ومؤثراً بفضل الفضائيات، ووسائل الاتصال الحديثة، فأصبحت المؤثرات تخترق ليل الناس ونهارهم وشوارعهم وأزقتهم وأسواقهم وعقر بيوتهم، وتأتيهم في ساعات الخلوة والاجتماع، وفي الصباح والمساء، وبألوان جذابة وأساليب مؤثرة ومنمقة ينساق لجذبها الصغار والكبار والرجال والنساء والذكور والإناث، ولم تعد الحدود الزمانية والمكانية تحت السيطرة، ولم يبق سوى التسلح بالمبادئ والقيم، عبر التربية الهادفة والمخططة والواعية.

ولا يصح لأولياء الأمور أن يتقاعسوا عن أداء ما أنيط بهم من دور ومسؤولية، وما ألقي على كواهلهم من واجب، ولن يقبل الله منهم أن ينساقوا مع التيار الجارف، بغض النظر عن المبررات المفتعلة، فإما أن يكون المرء مع الله أو مع الشيطان.

هدانا الله لنكون ممن رضي عنهم ورضوا عنه، وصرفنا عمن ضل وغوى.

الهوامش

1. الشعراء:152.
2. النحل:88.
3. البقرة: 10 – 11.
4. مريم:59.
5. الأعراف: 14 – 17.
6. الحجر:39.
7. ص:82.
8. القصص:63.
9. القصص:50.
10. النساء:27.
11. البقرة:120.
12. المائدة:48.
13. المائدة:49.
14. الرعد:37.
15. التحريم:6.

كلمة العدد

المسارعة إلى الخير في رمضان

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله / رئيس التحرير

تختلف أحوال الناس في رمضان، فصالحهم يترقب حلوله، ويتلَّهف لصيامه وقيام ليله، وطالحهم لا يلقي له بالاً، بل يضيق به ذرعاً، ويتنكب دربه، فلا يصوم ولا يقوم، وبعض الناس تصوم أفواههم عن ابتلاع الأكل والشراب، ويصلون أعداداً من الركعات على سبيل إسقاط الواجب، والتخلص من عبئه، دون أن يستشعروا روح الصيام والصلاة.

والأصل في حياة المسلم أن تكون موجهة نحو طاعة الله، في جميع الأوقات والظروف والأحوال، فهو في طاعة أبدية، وعبادة متواصلة، ومما لا جدال فيه أن شهر رمضان يشكل موسماً مميزاً للطاعة والعبادة، فبالإضافة للعبادة اليومية التي يمارسها المسلم في نهاره وليله، ففي رمضان المزيد منها، حيث فُرض في نهاره الصيام، وسُنَّ لليله قيام خاص، وفيه فرضت على كل نفس مسلمة صدقة، ويقوم كثير ممن تجب عليهم الزكاة بأدائها، ويسارع المؤمنون للتزود بحسن الطاعة لله، مسارعين إلى المغفرة والرضوان، ملبين نداء الله، حيث قال عز وجل: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}(1).

وقال سبحانه وتعالى: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}(2).

فالمؤمنون الصائمون أُشربوا طاعة الله في قلوبهم، وانطلقوا يصومون رمضان، ويصلون ويتعبدون في أقوالهم وأفعالهم ساعاتٍ من أعمارهم، وقد أثنى الله عليهم لمسارعتهم في ذلك، فقال سبحانه:{أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}(3).

فأهل الصلاح هم الذين يصومون نهار رمضان، ويقومون ليله بالصلاة والذكر والتلاوة ابتغاء وجه الله ومرضاته، محتسبين الأجر والثواب الذي وعدهم الله إياه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(4).

وعَنْ سَهْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ(5)بَابًا، يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا، أُغْلِقَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»(6).

فرمضان شهر طاعة بامتياز، ومن فضائله ما روي عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ؛ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ

أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتْ الشَّيَاطِينُ»(7).

ومن الآثار الصحيحة الواردة في فضل مطلق الصيام، «عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ صِيَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: كَانَ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ قَدْ صَامَ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ قَدْ أَفْطَرَ، وَلَمْ أَرَهُ صَائِمًا مِنْ شَهْرٍ قَطُّ أَكْثَرَ مِنْ صِيَامِهِ مِنْ شَعْبَانَ، كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ، كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إِلَّا قَلِيلًا». (8)

ويروي حُذَيْفَةَ فيقول: «كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْفِتْنَةِ(9)؟ قُلْتُ: أَنَا كَمَا قَالَهُ، قَالَ: إِنَّكَ عَلَيْهِ أَوْ عَلَيْهَا لَجَرِيءٌ، قُلْتُ: فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ، قَالَ: لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ، وَلَكِنْ الْفِتْنَةُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَا يَمُوجُ الْبَحْرُ، قَالَ: لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا بَأْسٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا، قَالَ: أَيُكْسَرُ أَمْ يُفْتَحُ؟ قَالَ: يُكْسَرُ، قَالَ: إِذًا لَا يُغْلَقَ أَبَدًا، قُلْنَا: أَكَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ الْبَابَ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَمَا أَنَّ دُونَ الْغَدِ اللَّيْلَةَ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ بِحَدِيثٍ لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ(10)، فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ، فَأَمَرْنَا مَسْرُوقًا فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: الْبَابُ عُمَرُ». (11)

ومن خصوصيات الطاعة في رمضان، ما ورد في قيام العشر الأواخر منه، فعن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ». (12).

وليس كل الناس على الصيام والصلاة يحافظون، وهذا ديدنهم دوماً، فمنهم المتقون،

ومنهم الضالون، ومنهم المنافقون...الخ، والله تعالى يخبر عن أهل الكتاب في هذا السياق، فيقول سبحانه: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ}(13)

وفي مقابل مجالات الطاعة التي تملأ نهار رمضان وليله، تصدر من بعض الناس أعمال وأقوال تتنافى مع روح الطاعة ومقتضاها، فيصوم بعضهم عن الطعام والشراب والجماع فحسب، وينتهك حرمة الشهر الفضيل بالكذب واللغو وفحش القول والغيبة والنميمة والاختلاس والتحايل وأكل الحرام، والتعدي على حرمات الناس وأموالهم، والتقصير في الأعمال والوظائف والواجبات، والرسول صلى الله عليه وسلم يحذر الصائمين من هذا الانتهاك، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ(14) وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ (15) أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ».(16)

فالصائم يمسك عن الغيبة والنميمة، والسب والشتم، والقيل والقال، واللغو والرفث، بالإضافة إلى إمساكه عن الطعام والشراب ومفطرات الصيام، ويوجه الرسول صلى الله عليه وسلم الصائمين إلى مراعاة الانضباط العام في سلوكهم، فعن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفُثْ، وَلَا يَصْخَبْ(17)، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ

بِيَدِهِ؛ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا؛ إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ». (18)

والأخذ بمنهج الله في كثير من النواحي، لا يسوغ التخلي عنه في بقيتها، فإذا صام الشخص، وصلى، وقرأ القرآن، وأدى ما فرض الله من الصدقات والزكاة، فذلك أمرٌ في منتهى الروعة والجمال والقبول، ولكن هذا الجمال يشوبه البطلان، حين يُمزج به استمراء المنكرات في مجالات الحياة الأخرى، وسبق أن سقنا تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم للصائمين من أن يتداخل قولهم للزور وعملهم به وجهلهم بصيامهم.

ويحذر الله تعالى في أكثر من جانب ومجال من أن تحبط الأعمال، لأسباب تتعلق أحياناً بهذا الخلط بين الخير والشر فيها، فيقول سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ}(19)

وفي إعمار المساجد يقول تعالى: {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ الله شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ}(20)

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ }(21)

وفقنا الله لصيام شهر رمضان على الوجه الذي يرضيه سبحانه، وجعلنا من عتقائه.

الهوامش

1. آل عمران:133.
2. الحديد:21.
3. المؤمنون:61.
4. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونية.
5. قَالَ الزَّيْن بْن الْمُنِير: إِنَّمَا قَالَ فِي الْجَنَّة وَلَمْ يَقُلْ لِلْجَنَّةِ لِيُشْعِر بِأَنَّ فِي الْبَاب الْمَذْكُور مِنْ النَّعِيم وَالرَّاحَة فِي الْجَنَّة فَيَكُون أَبْلَغ فِي التَّشَوُّق إِلَيْهِ .(فتح الباري).
6. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب الريان للصائمين.
7. صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده.
8. صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب صيام النبي صلى الله عليه وسلم في غير رمضان.
9. مَعْنَى الْفِتْنَة فِي الْأَصْل الِاخْتِبَار وَالِامْتِحَان، ثُمَّ اِسْتُعْمِلَتْ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَكْشِفُهُ الِامْتِحَانُ عَنْ سُوء. وَتُطْلَقُ عَلَى الْكُفْرِ، وَالْغُلُوِّ فِي التَّأْوِيلِ الْبَعِيدِ، وَعَلَى الْفَضِيحَةِ وَالْبَلِيَّةِ وَالْعَذَابِ وَالْقِتَالِ وَالتَّحَوُّلِ مِنْ الْحَسَنِ إِلَى الْقَبِيحِ وَالْمَيْلِ إِلَى الشَّيْءِ وَالْإِعْجَابِ بِهِ، وَتَكُونُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً} . (فتح الباري).
10. الْأَغَالِيط جَمْع أُغْلُوطَة .
11. صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة.
12. صحيح مسلم، كتاب الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان.
13. فاطر:32.
14. المراد بقول الزور : الكذب، والجهل: السفه، والعمل به أي بمقتضاه كما تقدم.
15. ورد في فتح الباري: أن قوله: « فليس لله حاجة » هو مجاز عن عدم قبول الصوم. (فتح الباري).
16. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى واجتنبوا قول الزور.
17. َالصَّخَب الْخِصَام وَالصِّيَاح، والْمُرَادَ من النَّهْي عَنْ ذَلِكَ تَأْكِيده حَالَة الصَّوْم، وَإِلَّا فَغَيْرُ الصَّائِم مَنْهِيّ عَنْ ذَلِكَ أَيْضًا .
18. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم.
19. الحجرات:2.
20. التوبة:17.
21. محمد:28.

رمضان

مائدة الفقراء ومأدبة المساكين

الشيخ عمار توفيق بدوي / مفتي محافظة طولكرم

كلما هبّت نسائمُ رمضان بريحها الطيبة؛ كلما غمرت الكونَ حَبوراً وسعادة، فالحفلُ الكوني المهيب؛ تترقبه الخلائقُ جميعاً؛ فهو شهرٌ تتدفقُ فيه العطايا، والخيرات من بين يديه؛ ولهذا أُطلقت عليه ألقابٌ كثيرة، وسمّيت طلعتُه البهيةُ أسماء عديدة؛ فهو شهرُ الفقراء، وشهر الإحسان، وشهر المساكين، وشهر القرآن، والمغفرة، والرحمة، والتوبة، والعتق من النار، وصلة الأرحام؛ والزكوات، والصدقات؛ فحاز كلَّ فضيلة، واشتملَ على كلِّ خير، وطرقَ أبوابَ الفضائلِ باباً باباً، ومدّ بساطَ الكَرَمِ مدّاً مدّاً، واتسعت آفاقُه الرحبةُ مطلعَ المشارق، ومدى المغارب.

فرمضانُ فيضٌ من الفيوض الرحمانية، التي تنبتُ مزارعَ البركات. وتغرسُ طموحاتِ العاملين في رحِمِ الشهرِ الكريم؛ فتلدُ حسناتٍ عظاماً، وأجوراً فِخاماً؛ تتباهى بها ملائكةُ السماء، وتسعد بها خلائقُ الأرض، ولا يدري الكتبةُ البررةُ كيف يكتبون أجورها؟ فيستأثر الباري الكريم الجواد المتعال بكتابتها؛ وهذا قوله جلّ في علاه كما صح في الحديث القدسي: «الصَّوْمُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»(1).

ومن فيوضِ البركةِ الربّانية في شهر رمضان؛ تلك الموائد التي بسَطَ أكنافَها، ومدَّ أطرافَها؛ مائدة الفقراء، ومأدبة المساكين، وهما من جملة الإحسانِ مشرّعِ الأبوابِ، وفَتَحَ

الجودُ مِصراعيّ أبوابِه الشاسعة؛ ليلِجَ الكرامُ، والفقراءُ من بابِه الحميدِ الزاهي بصالحِ العمل، وجميلِ الإنفاق الخالص لوجه الكريم الغنيّ، {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}(2).

ويقف على جانبيّ البابِ مَنْ ينادي بالكرام المحسنين، قال ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»(3).

ويشمّر المحسنون عن ساعد العمل، ويبسطون أيديهم بالنفقة في هذا الشهر الكريم، يتلمّسون مواجعَ الفقراءِ، وأنّاتِ الضعفاء. وضَرَبَ النبيُّ ﷺ مثلاً يُقتدى، وأُنموذجاً يُحتذى في هذا الشهر الكريم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»(4). فالريحُ مرسلةٌ بالعطاء، والجود يسابق الريح في البذل؛ ليستقر في بريدِ الفقراء والمساكين.

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: «أحب للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان اقتداءً برسول الله ﷺ، ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل كثير منهم بالصوم، والصلاة عن مكاسبهم»(5).

ودعا الشرعُ إلى الصدقات مهما قلَّت؛ ليفسحَ المجالَ أمام الناس جميعاً للولوج في أبوابها الطيبة، قال رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»(6). وعن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ، أَوْ قَالَ يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ» قَالَ يَزِيدُ: «وَكَانَ أَبُو الْخَيْرِ لَا يُخْطِئُهُ يَوْمٌ إِلَّا تَصَدَّقَ فِيهِ بِشَيْءٍ، وَلَوْ كَعْكَةً، أَوْ بَصَلَةً، أَوْ كَذَا»(7).

فضل إطعام الطعام

إطعامُ الطعام أمرٌ ندب الشرع إليه، ومدَح القرآنُ الكريم أولئك الذين يصنعون الطعام للمحاويج، فقال سبحانه وتعالى:{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً* إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً* فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً}(8). وهذا تعبير قرآني رائق ذو بلاغة، وحلاوة، وتميّزٍ، وريادة؛ قلما تجدها إلا في النص الحكيم المعجز؛ فحينما قال: {عَلَى حُبِّهِ} أفاد معنى جديداً؛ وهو الإيثار، وما فيه من إيثار المحاويج على النفس، وذكر الطعام بعد قوله: {وَيُطْعِمُونَ} يفيد تأكيداً مع استحضار هيئة الإطعام، حتى كأنّ السامع يشاهد الهيئة(9). وأوضح القرآن الكريم أنّ طريق المرحمة؛ إنما تتمثل بالإطعام، والإنفاق في سبيل الله، وبالإطعام في الجوع؛ وهو المسغبة، لليتيم الذي له أقارب، أو للمسكين الذي ليس له أحد، فشبه حاله بالملتصق بالتراب، قال سبحانه وتعالى:{ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ* فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ* يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ* أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ* أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ}(10).

وقال رسول الله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»(11). فالإطعام من جملة أعمال مبرورة؛ تسعى بصاحبها إلى أبواب الجنة؛ ليرتقي في درجاتها.

قال أبو سليمان الداراني: «لو أن الدنيا كلها لي فيها لقمة، ثم جاءني أخ لأحببت أن أضعها في فيه»(12). وقال رحمه الله: «إني لألقم اللقمة أخاً من إخواني؛ فأجد طعمها في حلقي»(13).

وعن علي ﷺ قال: «لأن أدعو عشرة من أصحابي؛ فأطعمهم طعاماً، أحبّ إليّ من سوقكم هذا؛ فأشتري رقبة؛ فأعتقها»(14).

الإطعام فدية تسدّ مكان عبادة الصيام

ولترسيخ مفهوم الإطعام، ودفْعِ المجتمع إلى استيعابه، سنّ الشرعُ له أحكاماً؛ تسدّ مسد العبادة، وأي عبادة؟ إنها الصوم؛ فالصوم على جلالة قدره، وعظيم أجره، وعلوِّ منزلته؛ إذا عجز المسلم عن أدائه، وضعفت عزيمته، وتوانى جسده عن القيام بفريضة الصيام؛ فإنّ الذي يجبر هذا الضعف، ويسدّ الخُلةَ؛ هو الإطعام؛ إطعام مسكين عن كل يوم يفطره، وعجز عن قضائه. قال سبحانه وتعالى:{وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ}(15). فهذا جلالُ الإطعام حلَّ مكانَ جلالِ الصيام؛ ليتعمّقَ الناسُ في فضلِ الإطعام، وجزيل مثوبته.

الإطعام كفارة لمن ارتكب بعض المخالفات الشرعية، أو انتهك حرمة من الحرمات

وعلى طريق التشريع الحكيم؛ نرى أنّ الشرْعَ المُطهَّر؛ جعل إطعامَ الفقراءِ، والمساكين، كفّارةً لمن ارتكبَ بعضَ الجنايات، والمخالفات، أو انتهك بعض الحرمات، وكلُّ ذلك سياسةٌ شرعية؛ لأن يكونَ الإطعامُ أساساً ثابتاً، وعموداً قائماً، ترفع فوقه ألويةُ الخير، والعطاء، فدخل في السياسة الشرعية، والعقوبة أيضاً، وهذا يدلّ على شيء عجيب؛ وهو الإصرار على أنْ يكون إطعامُ الفقراء أسلوباً لا غنى عنه، وشعيرة يتقرب بها العبد إلى ربه سبحانه وتعالى.

وبلغت الفديةُ إطعامَ مسكين واحد، وبلغت الكفارة إطعام عشرة مساكين، ووصل بعضها إلى ستين مسكيناً.

وعرَضَ القرآنُ الكريم جملةً من الأعمال التي يكفّر صاحبها بها عن سيئاته، وجنايته بالإطعام، وكان الإطعامُ خياراً من الخيارات؛ منها إذا تعدّى المُحرِمُ على الصيد في سفره، فقال سبحانه وتعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ}(16).

وكان الإطعامُ كفارةً لمن حلف يميناً شرعياً، وحنث في يمينه، قال سبحانه وتعالى: {لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَـكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}(17).

وكذلك الحال في كفارة الظهار؛ نجد إطعام الفقراء سُنّ شريعة كفّارة لتلك الكلمة الفاحشة الزور في عدّ الزوجة كالأم، قال سبحانه وتعالى:{فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(18).

والأمر ذاته تنطقُ به السنّة الشريفة، في كفارة من جامع زوجته في نهار رمضان، فكان الإطعامُ خياراً من خيارات الكفارة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ هَلَكْتُ، قَالَ: مَا لَكَ؟ قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا، قَالَ: لَا، قَالَ: فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟ قَالَ: لَا، فَقَالَ: فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟ قَالَ: لَا ...»(19).

الامتناع عن إطعام المساكين من التكذيب بالدين

فمن التكذيب بالدين، أن يُمتنع عن إطعام المساكين، وعدم الحضِّ على إشباع جوعتهم، وهذا ذروةُ الاعتناء بهم؛ إذ عدَّ الشرعُ إطعامَهم من أصول الدين، وتركه تكذيب به، فأي رعاية أغلى وأعلى من هذه الرعاية والعناية؟ قال سبحانه وتعالى:{أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ* فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ}(20). وقد أدان القرآن الكريم بأسلوب التقريع على عادات الجاهلية، وأخلاق الكفار، وذكر في معرض الذم، والتوبيخ تلك العادة القبيحة المستفظعة؛ في ترك الحضِّ على طعام المسكين، فقال

سبحانه وتعالى: {كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ* وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ}(21).

الامتناع عن إطعام الطعام سبب في العذاب في الدنيا والآخرة

ضرَبَ القرآن الكريم مثلاً، بأولئك الضانين بلقمة الخبز على المحتاج، والذين تحشْرجَ المالُ في حلوقهم، وأجلى مثلٍ لهم ما حدّث عنه القرآن الكريم في سورة «القلم» من قصة أصحاب الجنة، كيف كان أبوهم يطعم الفقراء، والمساكين، فورثها أبناء تعاهدت الشرورُ في نفوسهم ألاّ يطعموا فقيراً، أو مسكيناً، فأصبح بستانُهم مسودّاً بِفَحْمِ البخل، وسوءِ الطَّوية، والنية، وكآبة المقصد؛ فأحرقها الله تعالى بطائف من عنده؛ بعدما تعاهدوا ذلك العهد المشؤوم،{أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ}(22)، فهذا عذاب الدنيا تسلبُ فيه النعمةُ المسداة من المُنعِم الجليل الله سبحانه وتعالى، فهو الوهّاب عز وجل.

وأما يوم الدين، يوم الحساب العظيم، فالعذاب الشديد؛ ينتظر أولئك الذين لا يطعمون الفقراء والمحتاجين، فقال سبحانه وتعالى: {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ* ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ* ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ* إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ* وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ* فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ* وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ}(23). وقال عزّ وجل عن سبب دخولهم النار:{مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ* وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ}(24).

العيش مع الفقراء والمساكين

كان النبي ﷺ يعيش مع الفقراء، والمساكين، ويكثر من مجالستهم، وتفقّد حالهم، وكان نفر منهم يُعرفُ «بأهل الصُّفَّة»، وهي مكان اختصوا بالجلوس عليه في المسجد النبوي الشريف؛ يجاورون فيه النبي ﷺ، وكان ﷺ يحرص على إطعامهم. ونزل فيهم(25) قول الله سبحانه وتعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً}(26).

ولكم تمنّى النبي ﷺ أن يعيش مع المساكين، فعن أنس ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(27).

تفطير الصائمين

عن زيد بن خالد الجهني ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا»(28).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أراه قد رفعه إلى النبي ﷺ قال: «أَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا عَلَى جُوعٍ، أَطْعَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَقَى مُؤْمِنًا عَلَى ظَمَإٍ، سَقَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ كَسَا مُؤْمِنًا عَلَى عُرْيٍ، كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خُضْرِ الْجَنَّةِ»(29).

عن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرْفَةً، يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَلَانَ الْكَلَامَ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى وَالنَّاسُ نِيَامٌ»(30).

وعن سلمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من فطر فيه [رمضان] صائماً كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء قالوا: ليس كلنا نجد ما يفطر الصائم فقال: يعطي الله هذا الثواب من فطر صائماً على تمرة، أو شربة ماء، أو مذقة لبن»(31).

الإفطار مع المساكين

كان النبي ﷺ يحب إذا أكل، أن يشاركه الصحابة في أكله، فإن لم يجد أحداً؛ بحث عن مشارك له، فعن أنس ﷺ قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَلِكَ عِنْدَ السُّحُورِ، يَا أَنَسُ: إِنِّي أُرِيدُ الصِّيَامَ، أَطْعِمْنِي شَيْئًا، فَأَتَيْتُهُ بِتَمْرٍ، وَإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أَذَّنَ بِلَالٌ، فَقَالَ: يَا أَنَسُ؛ انْظُرْ رَجُلًا يَأْكُلْ مَعِي، فَدَعَوْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَجَاءَ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ شَرِبْتُ شَرْبَةَ سَوِيقٍ وَأَنَا أُرِيدُ الصِّيَامَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

وَأَنَا أُرِيدُ الصِّيَامَ، فَتَسَحَّرَ مَعَهُ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ» (32).

وكان النبي ﷺ يأكل مع «أهل الصُّفة» وهم فقراء المسلمين، ويدعوهم على طعامه ﷺ، عن أبي هريرة ﷺ قال: «دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: أَبَا هِرٍّ الْحَقْ أَهْلَ الصُّفَّةِ؛ فَادْعُهُمْ إِلَيَّ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُمْ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَأَقْبَلُوا، فَاسْتَأْذَنُوا، فَأُذِنَ لَهُمْ، فَدَخَلُوا»(33).

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يصوم، ولا يفطر إلا مع المساكين، وكان إذا جاءه سائل؛ وهو على طعامه؛ أخذ نصيبه من الطعام، وقام؛ فأعطاه للسائل؛ فيرجع وقد أكل أهله ما بقي في الجفنة؛ فيصبح صائماً؛ ولم يأكل شيئاً(34).

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يتصدق بالسُّكَّر، ويقول: سمعت الله يقول: {لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ} والله يعلم أني أحبّ السُّكَّر»(35).

كان الإمام الحافظ الزهري، إذا دخل رمضان، قال: «إنما هو قراءة القرآن، وإطعام الطعام»(36).

واشتهى بعض الصالحين من السلف طعاماً وكان صائماً؛ فوضع بين يديه عند فطوره؛ فسمع سائلاً يقول: من يقرض الملي الوفي الغني؟ فقال: عبدٌ معدمٌ من الحسنات، فقام وأخذ الصحفة؛ فخرج بها إليه؛ وبات طاوياً (37). وكان الحسن ﷺ يُطعم إخوانه؛ وهو صائم تطوعاً، ويجلس يروّحهم؛ وهم يأكلون(38).

وجاء سائل إلى الإمام أحمد فدفع إليه رغيفين، كان يعدهما لفطره، ثم طوى، وأصبح صائماً(39).

وصام – مفتي البصرة –الحافظ داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم به أهله، كان يأخذ غداه إلى الدكان؛ فيتصدق به في الطريق؛ فيظنّ أهل السوق أنه قد أكل في البيت، ويظن أهله أنه قد أكل في السوق(40).

قال أبو السوار العدوي: كان رجال من بني عدي يصلون في هذا المسجد ما أفطر أحد منهم على طعام قط وحده، إن وجد من يأكل معه أكل، وإلا أخرج طعامه إلى المسجد، فأكله مع الناس، وأكل الناس معه(41).

فهذا هو شهر الخيرات، ومائدة الفقراء، ومأدبة المساكين؛ فليجد كل محسن مكاناً له بين مَنْ أحب رسول الله ﷺ العيش معهم، وأن يكون في زمرتهم الكريمة.

الهوامش

1. صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: «يريدون أن يبدلوا كلام الله».
2. الحديد:10.
3. صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: «فأما من أعطى واتقى»، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب في المنفق والممسك.
4. صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.
5. الماوردي، علي بن محمد: الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، وهو شرح مختصر المزني. تحقيق: علي معوض. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1419هـ/1999م. ج3ص479.
6. صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة.
7. مسند أحمد، مسند الشاميين، حديث عقبة بن عامر الجهني عن النبي صلى الله عليه، وصحيح ابن خزيمة، كتاب الزكاة، باب في إظلال الصدقة صاحبها، وصحيح ابن حبان، كتاب الزكاة. باب صدقة التطوع.
8. الإنسان: 8 – 11.
9. انظر: ابن عاشور، الطاهر: التحرير والتنوير. تونس: دار سحنون. 1997م. ج29ص384.
10. البلد:11 – 18.
11. سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في قيام الليل. وسنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق.
12. ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد: الإخوان. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية. 1409هـ/1988م. ص245.
13. الغزالي: إحياء علوم الدين. ج2ص174.
14. ابن السري، هناد: الزهد. تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي. ط1. الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي. 1406هـ. ج1ص345.
15. البقرة:184.
16. المائدة: 95.
17. المائدة:89.

18. المجادلة: 4.

19. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان.

20. الماعون:1 – 3.

21. الفجر:17 – 18.

22. القلم: 24.

23. الحاقة: 30 – 36.

24. المدثر: 42 – 44.

25. انظر: الشوكاني، محمد بن علي: فتح القدير. ج3ص401.

26. الكهف:28.

27. سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم.

28. سنن الترمذي، كتاب الصوم، باب فضل من فطر صائماً.

29. سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، باب ما جاء في صفة أواني الحوض.

30. مسند أحمد ، باقي مسند الأنصار، حديث أبي مالك الأشعري رضي الله تعالى عنه.

31. ابن خزيمة: صحيح ابن خزيمة. رقم الحديث1887.ج3ص191.

32. سنن النسائي، كتاب الصيام، باب السحور بالسويق والتمر.

33. صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب إذا دعي الرجل فجاء هل يستأذن.

34. ابن رجب: بغية الإنسان في وظائف رمضان. ص30.

35. الغزالي، أبو حامد محمد: إحياء علوم الدين. بيروت: دار المعرفة. ج1ص226. الزمخشري، محمود بن عمر: ربيع الأبرار. ج1ص161. السيوطي، عبد الرحمن: الشمائل الشريفة. تحقيق: حسن بن عبيد. دار طائر العلم للنشر والتوزيع. ص292.

36. ابن عبد البر، عمر يوسف بن عبد الله : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري. المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية. 1387هـ. ج6ص111. وابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن: بغية الإنسان في وظائف رمضان. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي. 1398هـ/1978م. ص35.

37. ابن رجب: بغية الإنسان في وظائف رمضان. ص31.

38. ابن رجب: بغية الإنسان في وظائف رمضان. ص31.

39. ابن رجب: بغية الإنسان في وظائف رمضان. ص31.

40. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي: المدهش. تحقيق: د. مروان قبان. بيروت: دار الكتب العلمية. 1405هـ/ 1985م. ص420.

41. البرجلاني، محمد بن الحسن: الكرم والجود وسخاء النفوس. تحقيق: د. عامر صبري. ط2. بيروت: دار ابن حزم. 1412هـ. ص53.

رمضان شهر النفحات والبركات

أهلاً به من قادم وآت

الشيخ / حسن أحمد جابر
مفتي محافظة رفح / عضو مجلس الإفتاء الأعلى

الحمد لله الذي أثاب على الصيام والقيام جنته دار الكرامة والإنعام، الذي وصفها رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم بقوله: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ وَأَدَامَ الصِّيَامَ وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»(1) والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، بشر بمغفرة الذنوب لمن صام رمضان وقامه.

يقول الله عز وجل في محكم كتابه العزيز: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}(2)

أيها الإخوة المؤمنون؛ في هذه الأيام المباركة، يهل علينا شهر عظيم مبارك، يملأ بقدومه الكون نوراً، والأمة المحمدية بهجةً وسروراً، شهر رمضان هذا الضيف الكريم الذي يمر علينا في كل عام، فيجدد فينا الإيمان، ويطهر قلوبنا، ويصفي نفوسنا، ويصهر المسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها في بوتقة واحدة، فيصبحون كالجسد الواحد، منظمين في مطعمهم ومشربهم، وفي كل أقوالهم وأفعالهم وتصرفاتهم وارتباطهم بخالقهم، فينالون بذلك نفحات وبركات هذا الشهر الكريم، ويقتضي هذا من المسلم عند استقباله

لشهر رمضان أن يعد نفسه إعداداً روحياً ومادياً.

فأما إعداد الروح؛ فيتمثل في تطهير قلبه وفؤاده من كل حقد وحسد حتى تكون العبادة مقبولة عند الله عز وجل، فإن عبادة الصوم إذا أداها المسلم وقلبه مملوء بالحقد والحسد على الآخرين، فإنها لا تكون عبادةً مقبولةً عند الله عز وجل، لأن هذه الأمور تتنافى مع عبادة الصوم العظيمة، كذلك يجب على المسلم عند استقباله رمضان أن يكون إنساناً ذا شفافيةٍ عاليةٍ، بعيداً عن ظلم الناس، وأكل حقوقهم، فلا بد للمسلم عند استقباله لهذا الضيف الكريم أن يطهر قلبه وفؤاده وجميع جوارحه من كل ما يفسد هذه العبادة الروحية، فيقوم برد المظالم إلى أهلها، سواء كانت مادية أم معنوية، فيدخل عليه رمضان، وهو خال من الذنوب والتبعات، كذلك عليه أن يجدد التوبة، وذلك بالندم على ما حصل منه، لما جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «النَّدَمُ تَوْبَةٌ...»(3)، فيحل عليه رمضان وهو تائب منيب إلى الله عز وجل، مستقبل لهذا الشهر الكريم، وهو خالٍ من كل ما يؤدي إلى فساد صومه.

وأما إعداد المسلم نفسه مادياً؛ فيتمثل ذلك بأن يقدم التاجر بضاعة، ويؤدي زكاتها في هذا الشهر المبارك، وذلك لأن الله عز وجل في هذا الشهر الكريم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعين ضعفاً، فإذا أعد المسلم نفسه لاستقبال هذا الشهر الكريم، وابتعد بنفسه عن كل ما يغضب وجه الله، وألزم نفسه بكل ما أمر الله به، فإن الله عز وجل يتقبل منه صلاته وصيامه وقيامه، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(4).

فهيا إخوة الإسلام، نستقبل هذا الشهر الكريم لتغمرنا نفحاته، وننهل من بركاته التي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أَبِو هُرَيْرَةَ، قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَاكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ

صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا، فَقَدْ حُرِمَ» (5)

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال: « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان، فقال: أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم شهر مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزداد فيه رزق المؤمن، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء، قالوا ليس كلنا نجد ما يفطر الصائم، فقال: يعطي الله هذا الثواب من فطر صائماً على تمرة، أو شربة ماء، أو مذقة لبن، وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، من خفف عن مملوكه غفر الله له واعتقه من النار، واستكثروا فيه من أربع خصال؛ خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنى بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم، فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه، وأما اللتان لاغنى بكم عنهما؛ فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار، ومن أشبع فيه صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة»(6)

هذه بعض ما في هذا الشهر الكريم من نفحات وبركات، فعلى المسلمين أن ينتهزوا كل لحظة من لحظاته، فيملؤوها بالذكر، وقراءة القرآن، وبالصيام والقيام، وبصلة الأرحام، والعطف على الفقراء والمساكين وذوي الحاجات، وأيضاً من نفحات شهر رمضان وبركاته أن نؤخر السحور، ونعجل الفطر، فإن في هذه الأمور إعانة للصائم على أداء عبادة الصوم بكل سهولة ويسر، وذلك لما جاء في الحديث أن رسول الله قال: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ»(7)، ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: «تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً»(8)، كما يجب على المسلم الصائم أن يترك كل ما يؤدي إلى فساد

صومه؛ من غيبة ونميمة وقول زور، والكذب على الناس وحلف الأيمان بغير حق، لأن كل هذه الأمور تفسد صوم العبد، وتجعله صوماً غير كامل، فإذا ترك الصائم هذه الأمور وصام صوم الخواص الذي لا يدع لجوارحه أن تفكر في المحرمات، ولا مجرد تفكير، فلا شك أن الله عز وجل يتقبل منه صيامه وقيامه، ويثيبه على ذلك رحمته ورضوانه، ويدخله من أبواب جنانه.

راجين المولى جل في علاه أن يعيننا على صيامه وقيامه، والعمل فيه بكل ما يرضي رب الأرض والسماوات.

وفي الختام؛ نسأل الله العلي القدير أن يحل علينا شهر رمضان ونحن في سلام ووئام، وقد وحد الله عز وجل صفوفنا، وجمع على الخير كلمتنا، ومكننا من بناء دولتنا الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف .

إنه على ما يشاء قدير، وهو نعم المولى ونعم النصير.

الهوامش

1. سنن الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في قول المعروف.
2. البقرة:183.
3. سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة.
4. صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح.
5. سنن النسائي، كتاب الصيام، باب ذكر الاختلاف على معمر فيه.
6. صحيح ابن خزيمة 3 / 191.
7. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب تعجيل الإفطار.
8. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب بركة السحور من غير إيجاب.

الصوم صلة مع اللّه

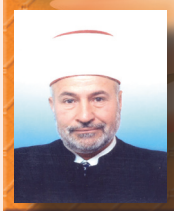

الشيخ محمد سعيد صلاح
مدير عام الإدارة العامة للبحوث والتخطيط
عضو مجلس الإفتاء الأعلى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين، وبعد؛

فالصوم ركن من أركان الإسلام الخمسة، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ* أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ*شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ*وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ* أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}(1).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ؛ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»(2).

وهو إمساك عن شهوتي الفرج والبطن، ابتغاء الثواب الجزيل والأجر العظيم من رب العالمين، لما جاء في الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»(3).

والصوم قربة عظيمة من المسلم إلى الله تعالى، تطهر به نفسه، وترفع شهواته وغرائزه عن توافه الأمور، وهو يشتمل على جوانب متعددة، منها: جانب روحاني تعبدي لترسيخ العقيدة الإيمانية، وتمتين صلة المسلم بخالقه عز وجل، ودوام طاعة الله العظيم، وهنالك جانب اجتماعي يعود بالخير والنفع على المسلم نفسه، وعلى من حوله من الأهل والناس، إذ يحمل في طياته الخير العميم، فيكون للصائم السد المكين والسور الحصين.

أمّا العبادات الأخرى في الإسلام؛ فهي عبادات ظاهرة في أدائها، واضحة في أركانها، يراها غير مؤديها كمن يؤديها، وقد تحتمل الرياء والسمعة بخلاف الصوم.

فالصلاة التي هي صلة بين العبد وربه، من أقامها أقام الدين، ومن هدمها هدم الدين، هي رمز وحدة الأمة وقوتها في السلم والحرب، وتدل على وحدة الخالق، ووحدة الأمة، وانتفاء الفوارق الاجتماعية عند الوقوف لأداء الصلاة، فلا فرق بين حاكم ومحكوم، ولا غني وفقير، ولاصغير وكبير.

أمّا الحج فهو تأدية ركن، استجابة لنداء إبراهيم الخليل عليه السلام، يُؤدى في زمن محدد ومكان محدد، فيه تجُّرد من الملذات، وترفّع عن الشهوات، يخرج المسلم فيه من الذنوب كيوم ولدته أمه، فيه محبة وأمن وإيمان، وتعارف وتصالح وتسامح.

والزكاة مطهرة لنفس المزكي، وإطاعة لأوامر الله عز وجل، بتقديم ما نحب ونسعى له،

ونكد ليكون نوراً، نزرع بها المحبة والتواصل والشعور الجماعي التكاملي بين الغني والفقير ابتغاء الأجر العظيم.

ولكن الصوم، وهو موضوعنا، يظهر فيه الجانب الروحاني التعبدي، لأن الصوم سر بين العبد وربه، يظهر من خلاله الترفع عن ترهات الأمور، الصائم يسمو بسلوكه وحياته الإيمانية، فتهدأ نفسه ويطيب خاطره، ولا يفعل إلا ما يرضي ربه ليحصل على الأجر العظيم، والثواب الجزيل، يشعر في حلّه وترحاله أنه عبد الله، خلق لطاعة الله عز وجل، قال تعالى:{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ* مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ* إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}(4).

يسير في طريقه، فيرى نفسه على باب الجنة بعبادته، ينتظره باب الريان، يتمتع بعبادته، فالشياطين مصفدة، وأبواب جهنم مغلقة، والجنة تزينت، تنتظره، فترنو نفسه إلى رضوان الله، ويسكن خاطره، يصبح إنساناً جديداً وأنموذجاً وقدوةً يحتذي بهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَلَا يَرْفُثْ، وَلَا يَجْهَلْ، وَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، الصِّيَامُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا»(5).

فالصوم مدرسة اجتماعية شاملة، إذ إن عبادة الصيام وأفعالها التعبدية ليست واضحة، وإنما هي ترك وكف وامتناع، فلا رياء إلا من تضجر، أو تحدث، والعبادات الأخرى، كالصلاة، يفعلها المسلم أمام غيره ومع غيره، والزكاة يطلع عليها المعطى الفقير، والحج أمام الجميع، والصوم أمام الله فقط.

والصوم ليس له مثل، فعن أبي أمامة قال: «أَنْشَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوًا، فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ ادْعُ اللَّهَ لِي بِالشَّهَادَةِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ، قَالَ: فَغَزَوْنَا، فَسَلِمْنَا وَغَنِمْنَا، قَالَ: ثُمَّ أَنْشَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوًا ثَانِيًا،

فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ ادْعُ اللَّهَ لِي بِالشَّهَادَةِ، قَالَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ، قَالَ: فَغَزَوْنَا، فَسَلِمْنَا وَغَنِمْنَا، قَالَ: ثُمَّ أَنْشَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوًا ثَالِثًا، فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ قَدْ أَتَيْتُكَ تَتْرَى مَرَّتَيْنِ أَسْأَلُكَ أَنْ تَدْعُوَ اللَّهَ لِي بِالشَّهَادَةِ، فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ فَادْعُ اللَّهَ لِي بِالشَّهَادَةِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ، قَالَ: فَغَزَوْنَا، فَسَلِمْنَا وَغَنِمْنَا، ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مُرْنِي بِعَمَلٍ آخُذُهُ عَنْكَ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ، قَالَ: عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ، قَالَ: فَكَانَ أَبُو أُمَامَةَ وَامْرَأَتُهُ وَخَادِمُهُ لَا يُلْفَوْنَ إِلَّا صِيَامًا، فَإِذَا رَأَوْا نَارًا أَوْ دُخَانًا بِالنَّهَارِ فِي مَنْزِلِهِمْ، عَرَفُوا أَنَّهُمْ اعْتَرَاهُمْ ضَيْفٌ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ قَدْ أَمَرْتَنِي بِأَمْرٍ وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ نَفَعَنِي بِهِ، فَمُرْنِي بِأَمْرٍ آخَرَ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ، قَالَ: اعْلَمْ أَنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَ اللَّهُ لَكَ بِهَا دَرَجَةً، أَوْ حَطَّ -أَوْ قَالَ وَحَطَّ شَكَّ مَهْدِيٌّ-، عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً»(6).

والصوم مدرسة حرب ضد الشهوات والشياطين، فالعبادات الأخرى تقهر الشيطان أثناء فعلها، ووقتها محدد متفرق، أما الصوم فهو شهر كامل متواصل، فيه نعم ربانية، وخصائص قرآنية، ورياضة بدنية، وصلات اجتماعية.

ذكر علماؤنا الأجلاء معاني متعددة لقوله تعالى في الحديث القدسي «أما الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» منها :

1. الصوم لا يعلم أجره إلا الله، بينما العبادات الأخرى أجرها محدد.
2. الصوم لم يُعبد به إلا الله، بينما العبادات الأخرى يُعبد بها غير الله.
3. الصوم ليس بكفارة ذنوب، مع أن باقي العبادات قد تكون كفارة ذنوب، فالمسلم إذا كان قد ارتكب معاصي، وقصر في حياته، وكان للناس عليه حقوقاً، وكان له حسنات من صلاة وجهاد وحج وصدقات، فيؤخذ منها، وتدفع لأصحاب حقوق، فممكن للمسلم أن يفقد سائر الحسنات إلا الصوم.

فالصيام مشتمل على سائر الفضائل، التي دعا إليها الإسلام؛ من صلة مع الله، وعلاقات المجتمع مع بعضه بعضاً، وتهذيب النفس على المكارم والفضائل.

ورمضان شهر الله النيّ أنزل فيه القرآن الكريم، هدى وموعظة للمتقين، والصوم والقرآن شفيعان للمسلم، لما روى عن عبد الله عمر رضي الله عنه، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ؛ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ»(7).

وهذا الشهر شهر الجهاد والنصر والتحرر في الماضي والحاضر، وهو جهاد نفس، وجهاد عدو من شيطان وإنسان، وأكبر من ذلك جهاد النفس الأمارة، التي جبلت على حب الشهوات، قال تعالى:{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}(8).

وبجهاد النفس يعد المرء ذاته للإخلاص في أعماله وأقواله، في خلوته، وحله وترحاله، ورمضان موسم علم وعمل وعبادة، وتنافس وتقرب إلى الله بإصلاح بين الناس، وتواصل بين الأرحام والجيران، وصدقات للمحتاجين من فقراء ومساكين ويتامى وأرامل.

وفيه تغلب الفطرة على الشهوة، ويتأسى المسلم فيه بالقدوة والمعلم الأول عليه الصلاة والسلام، سيد البشرية والأنام، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

في رمضان يقبل المسلمون على الصلاة مع الصيام، وقراءة القرآن في الحل والترحال، يمتنعون فيه عن الغيبة والنميمة، وقول الزور، فلقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»(9).

ومن سمات الصائم؛ أنه يعكف على كبح جميع شهواته وغرائزه عن كل المباحات

والمحرمات؛ كالغيبة والنميمة، إذ إن بعض العلماء يرى أن الغيبة مفطرة للصائم، ويمتنع عن التبذير والإسراف، لعدم التقتير على العيال.

وختاماً؛ فشهر رمضان ليس شهر شهوات وملذات وطعام وشراب، بل شهر منع كل الملذات والمباحات في النهار، واقتصاد النفقات في الإفطار والليل والسحور، يتجلى فيه زهد العابد في الدنيا، وحرص المؤمن على الآخرة، بصلاة الليل والنهار والتصدق، وحفظ الأسرار، وعدم هتك الأستار.

فيه ليلة هي خير من ألف شهر، قال تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ* تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ* سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}(10) من وافقها، كان كمن عبد الله عز وجل بضعاً وثمانين عاماً.

الهوامش

1. البقرة:183 - 187.
2. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام.
3. صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب ما يذكر في المسك.
4. الذاريات 56 - 58.
5. البخاري، كتاب الصوم، باب فضل الصوم.
6. مسند أحمد، باقي مسند الأنصار، باب حديث أبي أمامة الباهلي الصدي بن عجلان بن عمرو.
7. مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما.
8. آل عمران:14.
9. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى واجتنبوا قول الزور.
10. سورة القدر.

هل يعود رمضان كما كان ؟

الأستاذ: كمال بواطنه / وزارة التربية والتعليم العالي

لقد كان الصالحون من هذه الأمّة يدعون الله الدعوات الصادقة أن يبلغهم رمضان؛ ذلك أنّهم يعرفون أنّه شهر تترعرع فيه شجرة التقوى، ويعرفون جزاء الصائمين؛ فصيام يوم يباعد وجه صاحبه عن النار سبعين خريفاً، والصائم دعوته مستجابة، وخلوف فمه عند الله أطيب من ريح المسك، والصائمون استحقّوا أن يفرد لهم باب في الجنة من أبوابها الثمانية، هو باب الريّان، يدخلون منه، فإذا دخلوه فلا يدخله أحد غيرهم، ولا يخفى أنّ الريّان ضدّ العطشان، فهناك الريّ بعد العطش، والراحة بعد النّصب... ويعرفون رمضان دوحة، تزكو فيها أرواحهم بتلاوة القرآن والذكر... ويعرفون أنّ رمضان شهر العتق من النار، ففي كلّ يوم يعتق الله رقاب ستين ألفاً من النار، وفي آخر يوم يعتق ستين ألفاً مضروبة في ثلاثين، والشقيّ من انقضى رمضان ولم يعتق رقبته من النار، ويعرفون أنّه شهر يزاد فيه في رزق المؤمن، وهو شهر الجود الإحسان، ويعرفون أنّ ليلة القدر فيه خير من ألف شهر، ويعرفون فضل القيام، ويعرفون أن النافلة فيه بأجر فريضة، والفريضة بأجر سبعين فريضة فيما سواه، ويعرفون أنّه شهر الرحمة والتكافل

وصلة الأرحام والتصالح ودفن الأحقاد، ويعرفون ويعرفون...

يُصاب المرء اليوم بالذهول والصدمة وهو يرى حال المسلمين في رمضان الذي أضحى فارغاً من كثير من المضامين التي شرع من أجلها الصيام في رمضان؛ من الناس من يأتي رمضان فلا يحسّ به، ولا يكاد يعرف بإنتهائه لولا حلول العيد!! من الناس من يعدّ رمضان فرصة لملء البطون، فلا يفكّر البتة في غير المأكولات والمشروبات، ولم يغيّر رمضان إلا مواعيد أكله!! من الناس من يرى في رمضان فرصة للسهر والسمر، ولا يخطر بباله قيام ليل، ولا صلاة تراويح، وتظلّ لياليه حمراء حتى يصيح الديك!! من الناس من يقضي نهاره نائماً؛ ليله نهار ونهاره ليل!! من الناس من لا يتلو آية من القرآن في شهر القرآن!! من الناس من يصوم عن الطعام والشراب، ويصوم فرجه عن المعاشرة، ولا يصوم لسانه عن الفحش وقول الزور والكذب... ولا يصون بصره عن النظر المحرم، ولا يصوم قلبه عن الكره والنفاق والحقد... ولا تصوم رجلاه عن السير في الطرق المؤدية إلى الحرام، ولا تصوم يداه عن البطش، والامتداد إلى الحرام...!! من الناس من يصوم ولا يلين قلبه لفقير أو يتيم أو مسكين...!! من الناس من يصوم ويقطع رحمه، فلا يصل أختاً، ولا أخاً، ولا عمّة ولا عمّاً، ولا خالة، ولا خالاً... بل قد يقطع والديه، وربّما رماهم في ملجأ للعجزة، فلا يزورهم يوم عيد!! من الناس من أسقط ركن الزكاة من حياته، فيصوم ولا يزكّي!! من الناس من يحرص كلّ عام في رمضان أن يذهب لأداء العمرة ويده مقبوضة عن سائر ألوان البرّ!!

من دواعي الأسف أنّنا أصبحنا نرى في رمضان من المظاهر ما لا يحصى، وهو مما

يصرف الناس عن المعاني السامية التي فرض من أجلها صوم رمضان؛ تسير في الأسواق قبل أن يبدأ رمضان فترى تزاحم الناس على شراء أغراض كثيرة، تُدخل المسلم في زمرة المسرفين، وتغري التجار لزيادة الأسعار، ودسّ البضاعة الفاسدة، أو التي تكاد تنتهي مدّة صلاحيتها؛ لأنّ الأمر كما صوّره بعضهم «الطايح رايح»، ووسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية تترك مساحات واسعة لطبخة اليوم، وحلويات اليوم، وبعض الصائمين لا يبرح المطبخ قبل الغروب بساعات، يتشمّم رائحة الطعام، ويذهل قلبه عن أن يملأ وقته بما يزيد من أجره...!!

يبدأ رمضان فتحسّ أنّ وسائل الإعلام، وبخاصّة الفضائيات متآمرة على الصائم، فتبثّ عشرات المسلسلات ومئات الأغاني، التي أعدّت مسبقاً، وتبثّ مئات المقابلات مع الفنانين والفنانات، ومئات المسابقات، التي لا تستحق أن تبثّ، وصوت علماء الدين يكاد يختفي وسط الكثرة الكاثرة من مندوبي الشيطان؛ الذين وكلهم لإحباط أجر الصائم، ومردة الجن مصفدون في رمضان.

تخالط الناس، فترى ما يسيطر عليهم من نزق وطيش، وقل أن تسمع من أحد: «إنّي صائم» إن سابّه أحد أو شاتمه، وكثيراً ما سمعنا عن طائفة –قسم كبير منهم من المدخّنين– يكسّر في ساعة غضب محتويات البيت، وقد يضرب الزوجة والأولاد بسبب وبلا سبب، والمرأة المسكينة تسكّت الأولاد، وتقول لهم: أبوكم صائم؛ خوفاً من أن يثور البركان، وكان من الأولى أن يهذّبه الصوم، ويزيد من حلمه، فيردعه عن كلّ ما يشين، ويجعله يقلع عن العادات الضارّة، ومنها التدخين...!!

في رمضان تكثر الولائم التي لا ينطبق عليها قول الله -عزّ وجلّ- {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً}(الإنسان:9)، يدعى إليها الغنيّ، ويترك الفقير، ويقوم كثير من الناس بإعدادها خجلاً، أو لحاجة في نفس يعقوب، ويضطر كثير منهم إلى الاستدانة، والغرق في الديون، وهذا مما لا يقرّه الدين!!

في رمضان أصبحنا نسمع بالخيمة الرمضانية، التي يختلط فيها الرجال والنساء، وتتعاطى فيها النرجيلة والدّخان، وقد يشرب فيها ما يحرم، ويشاهد فيها الملهيات المحرمات، التي يكون للشيطان نصيب كبير فيها، ومن يشاهدها يظنّ أنّ روادها غير مسلمين!!

في رمضان أصبحنا نرى كلّ بيت يعلّق هلالاً مضاء، وأصبحنا نسمع في الدعايات «هلال لكلّ بيت»، حتى لقد ظنّ قاصر النظر أنّ هذا من الدين، ويشعر أنّه بوضع هذا الهلال المضيء أرضى ربّه، وقدّم للإسلام خدمة جليلة، وأخشى أن يتحوّل الدين عندنا إلى طقوس ومظاهر، لا تمتّ للدين بصلة!!

إنّها صور ومراسم كثيرة، يصعب عدّها، تبعد المسلم عن أن يتزوّد من بركات رمضان ما يشحنه شحنة إيمانية، تمدّه بالنور طوال العام. فهل يعود رمضان- كما كان قديماً- متجراً للصالحين، يربحون فيه الجنة، ويحزنون عند وداعه حزن امرأة قتل ابنها وهو في حجرها.

جواز تقديم صيام الأيام الستة من شوال على قضاء رمضان

الشيخ إحسان إبراهيم عاشور
مفتي محافظة خانيونس / عضو مجلس الإفتاء الأعلى

يسأل كثير من الناس عن حكم صيام الأيَّام السِّتَّةِ مِن شَوَّال، قبلَ قضاءِ مَا وَجَبَ قَضَاؤه مِن أيَّامِ رمضانَ ، وللإجابة عن هذا السؤال أقول وبالله التوفيق :

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد :

فإنَّ صيام ستة أيام من شهر شوال سُنَّة ثابتة عن رسول الله ﷺ؛ فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «من صَامَ رمضان، ثم أتْبَعَهُ سِتًّا مِن شوَّال، فذاك صيامُ الدَّهر» (1)، وعن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «صيامُ شهر رمضان بعشرة أشهر، وصيامُ سِتَّةِ أيَّامٍ بشهرين، فذلك صِيامُ السَّنَة» (2) ؛ لذا فمِن السُّنَّة الحرصُ على صيام هذه الأيام المباركة، وعدمُ تفويتها.

أما مَنْ كان عليه قضاءُ أيام من رمضان، وأراد أن يصوم هذه الأيام الستة قبل القضاء، فحكمُه عند الفقهاء مُتردِّدٌ بين الجواز وعَدَمِه، والذي يترجح لَدَيَّ أنَّ الأفضلَ في حَقِّ مَنْ كان عليه قضاء أيام من رمضان، أنْ يقضِيَها أولاً، ثُم يصومُ سِتًّا مِنْ شوَّال ؛ مُسارعة في براءة الذِّمَّة، وإسقاط الواجب؛ فإنَّ المسلم لا يدري متىٰ سيموت .

أما مَنْ فَتُرَت هِمَّتُهُ، أو كان بِحيث لا يستطيع أن يصوم القضاء، ومعه الأيام الستة من شوال، أو أنه يخشىٰ إذا صام القضاء أن يتكاسل عن صيام الأيام الستة من شوال،

فيجوز له صيامها ، ثم يقضي أيام رمضان بعد ذلك خلال أيـام العـام ؛ وذلك للأسباب التالية :

1 ـ إن قضاء رمضان لا يجب على الفور؛ بل يجب وجوباً موسَّعاً إلى رمضان القادم، في أي وقت من أيام السَّنة؛ لقول الله تعالىٰ : (. . فَعِدَّةٌ مِنْ أيَّامٍ أُخَر . .) (3)؛ فالله تعالىٰ أمر بالقضاء مطلقاً ، مِن غير تقييد بوقت معين .

2 ـ وقد صح عند البخاري ومسلم أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت يكون عليها الصَّومُ مِنْ رمضان، فما تستطيع أنْ تقضِيَه إلا في شعبان الذي يَلِيه، ولا يُعقل أنَّها كانت تترك صيام الأيام المسنونة؛ التي كان رسول الله ﷺ يواظب عليها، ويَحُثُّ على صيامها ، بسبب عدم تَـمَكُّنِها مِنْ قضاء ما عليها مِنْ رمضان ؛ كالأيام الستة، وأيام العَشْرِ مِنْ ذي الحِجَّةِ وخاصة يوم عرفة، ويوم عاشوراء، وغيرها، فدَلَّ ذلك على جواز صيام النافلة قبل القضاء .

3 ـ وإذا كان القضاء عبادة تتعلق بوقت موسَّعٍ، جاز التطوُّعُ في وقتها قبل فِعْلِها؛ كصلاة الفريضة، فإنه يجوز التطوُّعُ في وقتها قبل فعلها؛ كما أنَّه لم يَقُلْ أحدٌ من الفقهاء بعدم جواز الصدقة مِمَّنْ عليه دَيْنٌ قبل الوفاء بدَيْنِه، فهكذا هنـا .

والله تعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

الهوامش

(1) أخرجه مسلم.

(2) أخرجه ابن ماجة وغيره وصححه الألباني.

(3) البقرة :184 ، 185.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد؛

فعمدتنا في هذا البحث؛ من القرآن الكريم قوله تعالى في آيات الصيام :{وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ}(1).

ومن السنة المطهرة، حديث أنس بن مالك الكعبي الذي رواه أصحاب السنن: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَضَعَ عَنْ الْمُسَافِرِ شَطْرَ الصَّلَاةِ، وَعَنْ الْمُسَافِرِ وَالْحَامِلِ وَالْمُرْضِعِ الصَّوْمَ أَوْ الصِّيَامَ»(2)

وقد ذهب العلماء في تفسير قوله تعالى:{وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ} مذاهب شتى، على النحو الآتي:

* فمنهم من قال: إن هناك محذوفاً قبل الفعل(يطيقونه) تقديره (لا)، والضمير يرجع إلى الصوم، أي: وعلى الذين لا يطيقونه، وهذا من أساليب القرآن، فقد قال تعالى:{يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ}(3)، والمعنى: أن لا تضلوا.

* ومنهم من قال: يطيقونه: أي يطوّقونه، وهي قراءة ابن عباس، حيث قرأ (وعلى الذين يطوقونه) أي تكون هذه العبادة كالطوق الخانق الشديد على العنق.

* ومنهم من قال: إن الآية منسوخة بقوله تعالى:{فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}(4)، وهذا القول منسوب إلى ابن عمر –رضي الله عنهما – كما في صحيح البخاري (4506).

* ومنهم من قال: ليست بمنسوخة، وإنما هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما، فليطعما مكان كل يوم مسكيناً، ونسب هذا القول لابن عباس، كما في سنن الدارقطني (2356).

* ومنهم من قال: إن اللغة العربية لا تستعمل كلمة الإطاقة إلا حيث يوجد بذل وجهد واحتمال مشقة، فلا يقال في الأمر السهل اللين إن فلاناً يطيق، وإنما يقال ذلك في الصعب العسير، والمعنى: الذين يعانون صعوبة بالغة إذا صاموا، ويقعون في مشقة تضمحل فيها قواهم من شدة الضعف، كالشيخ الفاني، والعجوز الكبيرة، أو المريض بمرض دائم، أو الحامل والمرضع.

* ومنهم من قال: إن الضمير المتصل في قوله تعالى (يطيقونه) ليس راجعاً للصيام، وإنما للفدية، أي الذين يقدرون على إطعام المسكين، فمن كان في سعة على إطعام المساكين، فيرخص له الإفطار.

وما نطمئن إليه، ما روي عن ابن عمر أن الآية منسوخة، وبالنسبة لما روي عن ابن عباس أنها غير منسوخة، وقبل أن يظن أحد أن في ذلك تناقضاً بين قولي الصحابيين الجليلين، ينبغي أن نوضح معنى النسخ كما فهمه السلف، فقد استعمل سلفنا من الصحابة والتابعين وأتباعهم كلمة (النسخ) في معانٍ عدة، منها:

1. نسخ الحكم، بمعنى إزالته كلياً، وهذا المعنى الدارج عندنا.

2. النسخ بمعنى رفع الدلالة العامة بالتخصيص أو بالتقييد أو بالتوضيح، وهذا كثير في التراث، وهذا المعنى الذي قصده ابن عمر بقوله بالنسخ، فعندما قال ابن عمر بالنسخ، فإنه يعني التخصيص والتدليل، بمعنى: أن من يطيق الصيام، فالحكم في حقه منسوخ بقوله تعالى:{فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}(5)، وأما الذي لا يطيقه إلا بصعوبة بالغة، فالحكم في حقه ثابت، وعليه الفدية، وهذا المعنى ذكره القرطبي في تفسيره(1 /670).

وتأييداً لهذا المعنى، أورد السيوطي في الدر المنثور (1 /431) قال: أخرج ابن أبي حاتم

والنحاس في ناسخه، وابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ}، فكان من شاء صام، ومن شاء أفطر وأطعم مسكيناً، ثم نزلت هذه الآية {فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}، فنسخت الأولى، إلا الفاني إن شاء أطعم عن كل يوم مسكيناً، وفي رواية لسعيد بن منصور زاد: والحبلى والمرضع إذا خافتا أفطرتا وأطعمتا عن كل يوم مسكيناً، ولا قضاء عليهما.

أقول: وهذا هو الموافق ليسر الإسلام، فالله تعالى يقول:{لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا}(6)، ويقول عز وجل:{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}(7)، وقال جل جلاله:{يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً}(8)، وليس معنى ذلك الحث على التهاون في عزائم الدين، بل إن ذلك تقرير أن ديننا يتفق مع مصالح الناس، ويتماشى مع القدرة البشرية.

وفيما يتعلق بما روى «عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: أَغَارَتْ عَلَيْنَا خَيْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدْتُهُ يَتَغَدَّى، فَقَالَ: ادْنُ فَكُلْ، فَقُلْتُ: إِنِّي صَائِمٌ، فَقَالَ: ادْنُ أُحَدِّثْكَ عَنْ الصَّوْمِ، أَوْ الصِّيَامِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَضَعَ عَنْ الْمُسَافِرِ الصَّوْمَ وَشَطْرَ الصَّلَاةِ، وَعَنْ الْحَامِلِ أَوْ الْمُرْضِعِ الصَّوْمَ أَوْ الصِّيَامَ، وَاللَّهِ لَقَدْ قَالَهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِلْتَيْهِمَا أَوْ إِحْدَاهُمَا، فَيَا لَهْفَ نَفْسِي أَنْ لَا أَكُونَ طَعِمْتُ مِنْ طَعَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(9)

والعمل على هذا عند بعض أهل العلم.

وقال بعض أهل العلم: الحامل والمرضع تفطران وتقضيان وتطعمان، وبه يقول سفيان ومالك والشافعي وأحمد.

وقال بعضهم: تفطران وتطعمان، ولا قضاء عليهما، وإن شاءتا قضتا ولا إطعام عليهما، وبه يقول اسحق. انتهى كلام الترمذي.

وهذا الحديث له أربع روايات، مدارها كلها على أنس بن مالك الكعبي، والراويان

عنه هما ابن سوادة، وأبو قلابة.

أما طريق ابن سوادة، فأخرجها الترمذي كما في الحديث السابق، وأبو داود (2408)، وابن ماجه (1667)، وعبد الله بن أحمد في زيادته على المسند (4 /347)، وابن خزيمة (2044)، وفي سنده أبو هلال الراسبي، وهو محمد بن سليم الراسبي، قال النسائي في الضعفاء والمتروكين (ترجمة 516): الراسبي ليس بالقوي، وقال الذهبي في ميزان الاعتدال (3 /574): وثقه أبو داود، وقال أبو حاتم في الجرح والتعديل (13026): محله الصدق، لم يكن بذلك المتين، وقال البخاري في الضعفاء الصغير (ت 324) كان يحيى بن سعيد لا يروي عنه، وكان ابن مهدي يروي عنه، وقال ابن حجر في التقريب (ت 5923) صدوق فيه لين.

أقول: مثل هذا الراوي، ضعيف يُعتبر به عند المتابعة، وقد توبع.

أما الطريق الأخرى؛ فقد أخرجه النسائي (2276و2277)، وعبد الله بن أحمد في زيادته على مسند أبيه(5 /29)، وابن خزيمة (2042)، من طريق أبي قلابة عن أنس به.

وأبو قلابة هو عبد الله بن زيد الجرمي البصري، قال الذهبي في الميزان (3 /574): إمام شهير من علماء التابعين، ثقة في نفسه إلا أنه مُدلّس عمن لحقهم وعمن لم يلحق بهم، وكان له صحف يحدث بها ويدلس، وقال ابن حجر في التقريب (ت 5923): ثقة فاضل، كثير الإرسال.

والمعلوم أن حديث المدلس الثقة إنما يقبل إذا صرح بالتحديث، وقد عنعن أبو قلابة في هذا الحديث ولم يصرح بالتحديث، وحديث المدلس إذا عنعن مردود، لكن أخرج النسائي (4 /190) الحديث من طريق عبد الله بن سوادة عن أبيه عن أنس، وهذه الرواية أصح من رواية أبي هلال.

والمعروف أن الحديث إذا تعددت طرقه، ولم يكن فيها كذاب أو متهم، فإنه يؤيد بعضها بعضاً، فيرتقي الحديث إلى درجة الحسن.

ولهذا قال الإمام الترمذي عن الحديث: هذا حديث حسن.

من فقهيات الحديث:

قال ابن التركماني على هامش سنن البيهقي الكبرى (4/ 321): ظاهر الحديث أنه لا فدية عليهما، لأنهما يرجى لهما القضاء فأشبهها المسافر، وأيضاً فمتى وجبت الفدية لم يجب القضاء،لأن الفدية ما يقوم مقام الشيء، كقوله تعالى:{فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ}(11) ولهذا أوجب بعض السلف الفدية ولم يوجب القضاء.

وقال السندي في تعليقه على سنن ابن ماجه (2/ 310): هل هو وضعٌ إلى قضاء أو لا؟ وهذا الحديث ساكت عنه، فكل من يقول بقضائهما لا بد له من دليل.

وقال ابن رشد في بداية المجتهد (3/ 191): تحت عنوان: الحامل والمرضع إذا أفطرتا ماذا عليهما؟ هذه المسألة للعلماء فيها أربعة مذاهب:

أحدهما: أنهما يطعمان ولا قضاء عليهما، وهو مرويّ عن ابن عمر وابن عباس.

الثاني: أنهما يقضيان ولا إطعام عليهما، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه، وأبي عبيد وأبي ثور.

الثالث: أنهما يقضيان ويطعمان، وبه قال الشافعي.

الرابع: أن الحامل تقضي ولا تطعم، والمرضع تقضي وتطعم، وسبب اختلافهم شبههما بين الذي يجهده الصوم وبين المريض، فمن شبَّههما بالمريض، قال: عليهما القضاء فقط، ومن شبَّههما بالذي يجهده الصوم، قال: عليهما الإطعام فقط، بدليل قراءة من قرأ {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ}... أ.هـ

ومن آثار الصحابة والتابعين في هذه المسألة ما أخرجه الإمام الدار قطني وصححه، والتي تفيد أن الحامل والمرضع تفطران إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما، وعليهما الفدية، وهي إطعام مسكين عن كل يوم أفطرتا فيه.

* أثر رقم (2357) عن سعيد بن جبير أن ابن عباس قال لأم ولد له حبلى أو ترضع: (أنت من الذين لا يطيقون الصيام، عليك الجزاء وليس عليك القضاء) قال الدارقطني: إسناده صحيح أثر رقم (2363).

عن نافع عن ابن عمر أن امرأته سألته وهي حبلى، فقال: أفطري وأطعمي عن كل يوم مسكيناً ولا تقضي، وإسناده صحيح.

* أثر رقم (2364) عن نافع قال: كانت بنت لابن عمر تحت رجل من قريش، وكانت حاملاً فأصابها عطش في رمضان، فأمرها أن تفطر وتطعم عن كل يوم مسكيناً، وهذا إسنادٌ حسنٌ.

* أثر رقم (2360) عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أو ابن عمر قال: الحامل والمرضع تفطر ولا تقضي، وهذا إسناده صحيح، وأخرجه البيهقي (4/ 230) عن ابن عمر بنحوه.

* أثر رقم (2359) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كانت له أمة ترضع، فأجهدت، فأمرها ابن عباس أن تفطر، يعني وتطعم ولا تقضي، قال الدارقطني: هذا صحيح.

أما الآثار عن التابعين، فقد أخرجها عبد الرزاق في مصنفه في باب: الحامل والمرضع.

• أثر رقم (7585)عن سعيد بن جبير قال: تفطر الحامل في شهرها، والمرضع التي تخاف على ولدها، تفطران وتطعمان عن كل واحدة منهما مسكيناً كل يوم ولا قضاء عليهما.

قال معمر: وأخبرني من سمع من القاسم بن محمد يقول: إن لم تستطيعا الصيام فلتطعما.

• (7586) عن قتادة قال: تفطر الحامل التي تخاف على ولدها، وتفطر المرضع التي تخاف على ولدها، وتطعم كل واحدة منهما كل يوم مسكيناً، ولا قضاء عليهما.

• (7587) عن عطاء قال: تفطر الحامل والمرضع إذا خافتا على أولادهما في الصيف، قال وفي الشتاء إذا خافتا على أولادهما.

• (7592) عن إبراهيم قال: تفطر وتطعم نصف صاع.

الخلاصة:

المفطر في رمضان بعذر على ضربين:

• إما أن يكون مفطراً بعذر مؤقت، كالمسافر، والمريض مرضاً عارضاً يرجى شفاؤه، وهذا عليه القضاء، كما قال تعالى: {وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ}(10).

• وإما أن يكون مفطراً بعذر دائم، كالشيخ الفاني والمريض مرضاً مزمناً لا يرجى شفاؤه، فيضره الصيام، وهذا تلزمه الفدية، كما قال تعالى: {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ}(11).

فمن قال أن الحامل أو المرضع تفطر وعليها القضاء، فقد ألحقها بالصنف الأول، ومن قال أنها تفطر وعليها الفدية، فقد ألحقها بالصنف الثاني.

ونرى وجاهة رأي من قال: عليهما الفدية، إذا أفطرتا خشية على نفسيهما أو ولديهما، فعن ابن عباس، قال: رخص للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة في ذلك، وهما يطيقان الصوم، يفطران إن شاءا ويطعمان كل يوم مسكيناً ولا قضاء عليهما، ثم نسخ ذلك في هذه الآية {فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}، وثبت للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة إذا كانا لا يطيقان الصوم، والحبلى والمرضع إذا خافتا، وأطعمتا كل يوم مسكيناً، (12) فهذا الحديث له حكم المرفوع باتفاق أهل العلم، لأنه جاء في تفسيرٍ يتعلق بسبب نزول، وابن عباس شهد الوحي والتنزيل، فأخبر عن هذه الآية، فهذا حديث مسند.

فضلاً عن أن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما، أثبتا حكم الإطعام للحامل والمرضع، ولا يكون ذلك عن هوى، إنما عرفاه من السنة، واتفاق ابن عمر وابن عباس، وهما من فقهاء الصحابة على ذلك لم يأت من فراغ، خاصة إذا علمنا أنه لا مخالف لهما من الصحابة على ذلك.

لكن ينبغي أن نعلم أن هذا الحكم مقيد بخوف الحامل أو المرضع على نفسها أو ولدها، وعليه فكون الحامل أو المرضع من أصحاب الأعذار الدائمة هو أقرب، إذا علمنا أن حمل المرأة ورضاع الطفل يستغرق نحو ثلاث سنوات، ما إن تنتهي منها حتى تشرع في حمل جديد ثم إرضاع، وهكذا دواليك، فمتى تسنح لها الفرصة بالقضاء؟! مع العلم

أن القضاء يلزم المريض والمسافر، كما قال الله تعالى، والحامل والمرضع ليستا من هذا الصنف، بل هما ممن تشملهما الآية: {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ}،وهذا هو الراجح، والله تعالى أعلم.

الهوامش

1. البقرة: 184.
2. مسند أحمد، أول مسند الكوفيين، حديث أنس بن مالك رجل من بني عبد الله بن كعب.
3. النساء: 176.
4. البقرة: 185.
5. الآية السابقة.
6. البقرة:286.
7. الحج: 78.
8. النساء: 28.
9. سنن الترمذي، وحسنه كتاب الصوم عن رسول الله، باب ما جاء في الرخصة في الإفطار للحبلى والمرضع.
10. البقرة: 196.
11. البقرة: 185
12. البيهقي (4/230)، وهو صحيح.

الجمع بين نية صيام الثلاثة البيض والقضاء من رمضان

السؤال: هل يجوز الجمع في نية صيام الأيام الثلاثة البيض مع صيام القضاء عن أيام من رمضان؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فكل عمل يحتاج إلى نية، ولا يقبل دونها، قال رسول الله ﷺ «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّات»(1)، ومن حكمة النية أنها تميز الأعمال من بعضها؛ فهذا سنة وذاك فرض، فالفجر ركعتا فرض وركعتا سنة، والذي يميز بينهما النية. ولا يصح أن يجمع صيام الثلاثة أيام البيض مع القضاء؛ فالأول سنة والثاني فرض. والله أعلم.

الصيام قبل الأربعين إذا انقطع الدم

السؤال: هل يصح للمرأة النفاس أن تصوم قبل الأربعين، وقد انقطع عنها الدم؟

الجواب: النفاس هو نزول الدم بعد الولادة، ولا حدّ لأقله، فإذا انقطع دم النفاس وطهرت المرأة، وجب بحقها الصيام؛ لخلوها مما يمنع الصوم. والله أعلم.

صوم الجنب دون اغتسال

السؤال: رجل جامع زوجته ليلاً واستيقظ صباحاً وهو على جنابة، فهل يؤثر ذلك على صحة صيامه؟

الجواب: من أصبح جنباً في رمضان من الجماع فصومه صحيح، عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ كَانَ لَيُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ جِمَاعٍ غَيْرِ احْتِلَامٍ ثُمَّ يَصُومُهُ»(2). ويلزمه الاغتسال للصلاة. والله أعلم.

خلع الضرس أو رقعه نهار رمضان

السؤال: ما حكم خلع الضرس أو السن ورقعهما في نهار رمضان؟

الجواب: يباح للصائم أن يخلع ضرسه، وسِنّه، وأن يرقعهما، ولا يؤثر ذلك على الصوم؛ ما لم يدخل شيء جوفه. والله أعلم.

السحور بعد طلوع الفجر

السؤال: ما حكم السحور بعد طلوع الفجر؟

الجواب: معلوم أن للصوم وقت ابتداء، ووقت انتهاء، ووقت ابتدائه من طلوع الفجر، ووقت انتهائه غروب الشمس، قال ﷻ: {وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ}(3). فيمتنع الصائم عن الأكل والشرب بعد طلوع الفجر. ومن فعل ذلك؛ فإنه يفطر، ويجب عليه إمساك بقية اليوم، ويقضي يوماً مكانه بعد شهر رمضان. والله أعلم.

العمل في مطعم نهار رمضان

السؤال: ما حكم العمل في مطعم يبيع الطعام ويأكل الناس فيه خلال نهار رمضان؟

الجواب: العمل في مطعم يبيع الطعام في نهار رمضان، ويأكل الناس فيه وقت النهار حرام. فعلى المسلم أن يحافظ على حرمة الشهر، وعلى حرمات الله، لقوله ﷻ: { وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ} (4). والفعل المذكور منكر، على المسلم أن يسعى إلى تغييره، لا أن يعمل فيه، قال الله ﷻ: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} (5). وهذا الفعل فيه مجاهرة بالمعصية، عن أبي هريرة ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنْ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ»(6). والله تعالى أعلم.

استحباب صيام الأيام البيض

السؤال: ما الأيام البيض التي يستحب صيامها؟

الجواب: يستحب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، فعن أبي هريرة ﷺ قال: «أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلَاثٍ لَا أَدَعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ، صَوْمِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلَاةِ الضُّحَى، وَنَوْمٍ عَلَى وِتْرٍ»(7). ويستحب أن تكون هذه الثلاثة أيام البيض، وسميت أيام البيض لابيضاض ليلها كله بالقمر(8)، وقد صح الحديث عن النبي ﷺ «أنها ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة» (9). والله أعلم.

الإفطار بعذر الامتحانات

السؤال: هل يصح الإفطار في نهار رمضان بعذر الامتحانات؟

الجواب: الامتحانات ليست عذراً يرخص به للصائم بالفطر في نهار رمضان، فالإنسان لا يخلو من الشغل والانشغال على مدار العام من دراسة وعمل، ورمضان كسائر الشهور من حيث انشغال العباد بمصالحهم، ولا يعني الصيام أن ينقطع الصائم عن

أسباب الحياة ومشاغلها، وإن كان يستحسن أن تؤخر الامتحانات عن رمضان، إلا أنها لا تصلح عذراً يبيح الترخص بالفطر. والله أعلم.

ما يترتب على المرأة لعدم قضاء أيام إفطارها حتى دخل رمضان الذي يليه

السؤال: أفطرت أياماً من شهر رمضان في العام الماضي بعذر الدورة الشهرية، ودخل رمضان هذا العام وبقي عليّ أيام لم أصمها، فهل يترتب عليّ شيء غير القضاء؟

الجواب: من كان عليه أيام صيام من رمضان، فإنه يترتب عليه القضاء فقط؛ لقوله ﷻ: {وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}(10). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «إِنْ كَانَ لَيَكُونُ عَلَيَّ الصِّيَامُ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَمَا أَقْضِيهِ حَتَّى يَجِيءَ شَعْبَانُ»(11). ولم يصح عن النبي ﷺ ما يدلّ على غير ذلك. والله أعلم.

صلاة التراويح وأحكامها

السؤال: هل صلاة التراويح من قيام رمضان؟ ولماذا سميت بالتراويح وكم عدد ركعاتها؟

الجواب: فإن صلاة التراويح سميت كذلك لأنهم أول ما اجتمعوا عليها كانوا يستريحون بين كل تسليمتين(12)، وعن زيد بن وهب قال: «كان عمر بن الخطاب ﷺ يروحنا في رمضان (يعني بين الترويحتين) قدر ما يذهب الرجل من المسجد إلى (سلع) - اسم جبل في المدينة»(13)، وتطلق صلاة التراويح على قيام رمضان، وهي من قيامه، فعن أبي هريرة ﷺ قال: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(14). أما عدد ركعاتها فمن العلماء من عدها من مطلق النوافل التي لا حد لعددها، ومنهم من صلاها ثماني ركعات أسوة بالنبي ﷺ لقول عائشة رضي الله عنها «.. مَا كَانَ

يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلَا تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلَا تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا...»(15). ومن الفقهاء من قال تصلى عشرين ركعة تأسياً برواية عن فعل عمر بن الخطاب (16).

صدقة الفطر ومصارفها

السؤال: هل يصح دفع صدقة الفطر لأولاد الابن الفقراء؟

الجواب: أولاد الابن لا يعطون من صدقة الفطر؛ لأنهم من الفروع، وتلزم الجدّ نفقتهم(17). أما إذا كان الجدّ فقيراً لا يقدر على إعالة أولاد ابنه، فيصح في هذه الحالة إعطاؤهم صدقة الفطر؛ كونه لا يقدر على النفقة، وهذا ما يستفاد من الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّ الْآخَرَ وَقَعَ عَلَى امْرَأَتِهِ فِي رَمَضَانَ، فَقَالَ: أَتَجِدُ مَا تُحَرِّرُ رَقَبَةً؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَفَتَجِدُ مَا تُطْعِمُ بِهِ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَأُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ، وَهُوَ الزَّبِيلُ، قَالَ: أَطْعِمْ هَذَا عَنْكَ، قَالَ: عَلَى أَحْوَجَ مِنَّا، مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتٍ أَحْوَجُ مِنَّا، قَالَ: فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ»(18).

علامات ليلة القدر وخير ما يفعله المسلم فيها

السؤال: ما علامات ليلة القدر؟ وما خير ما يفعله المسلم فيها؟

الجواب: ليلة القدر خير الليالي، ومجدّ الله تعالى ذكرها في القرآن الكريم، وعظّم شأنها، فقال سبحانه: { إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}(19)، وقال سبحانه:{إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ}(20). وخير ما يفعله المسلم في هذه الليلة إحياؤها بالصلاة؛ فعن أبي هريرة ﷺ

قال: قال رسول الله ﷺ «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (21). وأفضل الدعاء سؤال الله تعالى العفو والعافية؛ فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: قُولِي اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ كَرِيمٌ، تُحِبُّ الْعَفْوَ، فَاعْفُ عَنِّي»(22). ومن علامات ليلة القدر «أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِهَا بَيْضَاءَ لَا شُعَاعَ لَهَا»(23). وتكون «ليلة بلجة سمحة»(24). وتكون «ليلة سمحة طلقة، لا حارة، ولا باردة، تصبح الشمس صبيحتها ضعيفة حمراء»(25). وتكون ليلة القدر في أواخر شهر رمضان، فعن أبي هريرة ﷺ قال: «تَذَاكَرْنَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَذْكُرُ حِينَ طَلَعَ الْقَمَرُ، وَهُوَ مِثْلُ شِقِّ جَفْنَةٍ»(26)، قال النووي (شِق جَفْنَة، هو النصف، ومنه إشارة إلى أنها إنما تكون في أواخر الشهر، لأن القمر لا يكون كذلك عند طلوعه إلا في أواخر الشهر)(27). والله أعلم.

الهوامش

1. صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي.
2. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب اغتسال الصائم.
3. البقرة:187.
4. الطلاق:1.
5. المائدة:2.
6. صحيح البخاري، كتاب الأدب ، باب ستر المؤمن على نفسه.
7. صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب صلاة الضحى في الحضر.
8. المغني، ج3، ص116.
9. سنن أبي داود، ج2، ص743، سنن الترمذي، ج3، ص134، سنن النسائي، ج4، ص221، سنن ابن ماجه، ج1، ص544.

10. البقرة:185.

11. سنن ابن ماجه، كتاب الصيام، باب ما جاء في قضاء رمضان.

12. فتح الباري، ج4، ص35.

13. سنن البيهقي، ج2، ص497.

14. صحيح البخاري ، كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان.

15. صحيح البخاري، كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان.

16. للتوسع انظر: صلاة التراويح عدد ركعات قيام شهر رمضان، لعمار بدوي.

17. انظر: الأم للشافعي،ج7،ص115.

18. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب المجامع في رمضان هل يطعم أهله من الكفارة إذا كانوا.

19. سورة القدر.

20. الدخان: 3 – 4.

21. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيمانا واحتسابا ونية.

22. سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

23. صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح.

24. رواه ابن أبي شيبة.

25. رواه البيهقي في شعب الإيمان، وصححه الألباني، انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير وزياداته، ص 961.

26. صحيح مسلم ، كتاب الصيام، باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها وبيان محلها وأرجى.

27. انظر: شرح النووي صحيح مسلم، ج8، ص66.

شمول مفهوم العبادة في الإسلام

الشيخ / علي أحمد مصلح
مفتي محافظة قلقيلية

إن الله تبارك وتعالى، قد خلق المخلوقات «جنّهم وإنسهم» وأوجد الموجودات لغاية وحكمة يريدها ويعلمها، وتتجلى هذه الغاية العظيمة، والتي بها تتحقق سعادتهم في الدارين في قوله تعالى:{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ* مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ* إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}(1)، فدلت هذه الآية الكريمة على أن الغاية والحكمة من خلق الثقلين هي عبادته وحده لا شريك له، هذه العبادة التي يبيّن شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى– في كتاب «العبودية» حقيقتها بياناً شافياً، فقال: «لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب ، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له».

والعبادة: اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته، وكمال الذل لله ونهايته، فالحب الخلي عن ذل والذل الخلي عن حب لا يكون عبادة، وإنما العبادة ما يجمع كمال الأمرين، وقال أيضاً – رحمه الله – معرفاً العبادة: «هي طاعة الله بامتثال ما أمر الله به على ألسنة الرسل، أو هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة»، قال العماد ابن كثير –رحمه الله –: وعبادته هي طاعته بفعل المأمور وترك المحظور، وذلك هو حقيقة دين الإسلام لأن معنى الإسلام: الاستسلام لله تعالى المتضمن غاية الانقياد والذل والخضوع، وقال أيضاً مفسراً الآية: «إن الله تعالى خلق الخلق ليعبدوه وحده لا

شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء في جميع أحوالهم، وهو خالقهم ورازقهم»، وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – في معنى قوله تعالى: {إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} أي إلا لآمرهم أن يعبدوني، وأدعوهم إلى عبادتي، وقال مجاهد: «إلا لآمرهم وأنهاهم»(2)، يقول الإمام النووي –رحمه الله– في مقدمة كتابه «رياض الصالحين» شارحاً هذه الآية: «وهذا تصريح بأنهم خلقوا للعبادة، فحق عليهم الاعتناء لما خلقوا له، والإعراض عن حظوظ الدنيا بالزهادة، فإنها دار نفاد لا محل إخلاد، ومركب عبور لا منزل حبور، ومشْرع انفصام لا موطن دوام، فلهذا كان الأيْقاظ من أهلها هم العباد، وأعقل الناس فيها هم الزهاد ..... فإذا كان حالها ما وصفته، وحالنا وما خلقنا له ما قدّمته، فحق على المكلف أن يذهب بنفسه مذهب الأخيار، ويسلك مسلك أولي النهى والأبصار»(3).

وقد أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب لبيان هذا الحق والدعوة إليه، كما أخبرنا بذلك رب العزة، فقال سبحانه: {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ}(4)، وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}(5)، وقوله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}(6).

فهذه الآيات المحكمات، وما جاء في معناها من كتاب الله، كلها تدل على وجوب إخلاص العبادة لله وحده، وأن ذلك هو أصل الدين وأساس الملَّة، كما تدل على أن ذلك هو الحكمة في خلق الجن والإنس، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، فالواجب على جميع المكلفين العناية بهذا الأمر، والفقه فيه، والحذر مما وقع فيه كثيرون من المنتسبين إلى الإسلام، من الغلو في الأنبياء والصالحين، والبناء على قبورهم، واتخاذ المساجد والقباب عليها، وسؤالهم والإستعانة بهم، واللجوء إليهم، وسؤالهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وشفاء المرض، والنصر على الأعداء، وغير ذلك من أنواع الشرك الأكبر»(7).

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوافق ما دل عليه كتاب الله عز وجل، ففي صحيح مسلم عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا مُعَاذُ؛ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٍ، قَالَ: أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟ فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ»(8)، وهذا هو العهد والميثاق الذي أخذه الله تعالى على عباده وأقروا به، مصداقاً لقوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ}(9).

اعلم بأن الله جل وعلا لم يترك الخلق سدى وهملاً، بل خلق الخلق ليعبدوه وبالألاهية يفردوه، أخرج فيما مضى من ظهر آدم ذريته كالذر، وأخذ العهد عليهم أنه لا رب معبود بحق غيره، واعلم يا عبد الله أن الغفلة عن الغاية الأصلية التي من أجلها خلقت، هي من طبيعة حياة من سفلت هممهم وتدنت، أتدري لماذا؟ لأنهم إذا نزل بهم الموت اشتد قلقهم لخراب ذاتهم وذهاب لذّاتهم، لا لما سبق من جناياتهم، وسلف من تفريطهم، حيث لا يقدمون لحياتهم(10).

أما والله لو علم الأنام ... لما خلقوا لما غفلوا وناموا

لقد خلقوا لما لو أبْصرته ... عيون قلوبهم تاهوا وهاموا

ممات ثم قبر ثم حشر ... وتوبيخ وأهوال عظام

وهكذا نجد أن العبادة -كما سبق ذكره من قول شيخ الإسلام «ابن تيمية» -رحمه الله- أفق ودائرة واسعة رحبٌ، وهي ليست مقصورة على الصلاة والصيام والزكاة والحج، بل تتعداها لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة فيها والباطنة، ليكون الدين كله داخل في العبادة، وأن هذه العبادة تسع الحياة كلها، فتشمل شؤون الإنسان، وتستوعب حياته كلها(11)، فتجعلها منقادة لمنهج الله وشرعه، فيخرج المؤمن بعبادته الحقة من عبوديته لنفسه وللمخلوقين إلى عبوديته لربه عز وجل.

إن الإسلام قد وسّع دائرة العبادة، ولم يحصرها في عمل معين، فكل عمل نافع صالح

بنية خالصة لوجه الله تعالى عبادة وقربة إلى الله تعالى، وهذا ما يشهد له حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه قال «كُلُّ سُلَامَى مِنْ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» (12).

وأفق الخير والنفع والأجر والثواب الذي يعيش المسلم في دائرته، ليس قاصراً على الإنسان وحده ، وإنما يتسع ليشمل كل كائن حي، حتى الطير والحيوان، فقال صلى الله عليه وسلم «... فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»(13)، «أي كل ما فيه حياة»، فعملك الشروع يا عبد الله بإخلاص ونية صادقة وإتقان عبادة تثاب عليها، بل عدّها الإسلام الحنيف على لسان الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم لوْناً من ألوان الجهاد في سبيل الله، «فعن كعب بن عجرة قال: مرّ على النبي صلى الله عليه وسلم رجل، فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلده ونشاطه، فقالوا : يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله – أي في الجهاد لإعلاء كلمة الله، وكان الجهاد أفضل العبادات عندهم – فقال: إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً، فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى على أبوْين شيخيْن كبيريْن فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفّها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج رياءً ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان»(14). وحتى أعمال الغريزة وقضاء الشهوة تدخل في دائرة العبادة، وهذا من كمال – رحمه الله تعالى – على عباده، وأوضح شاهد، وخير دليل على ذلك، قول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ –أي الجماع أو الفرج نفسه– قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ، وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟! قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ، أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرًا»(15).

فكما شملت العبادة في الإسلام الحياة كلها، كما سبق أن بيّنا ذلك، فإنها كذلك قد استوعبت كيان الإنسان كله، وقد فصّل الإمام ابن القيم في كتابه «مدارج السالكين»

تفصيلاً قيّماً، فأفاد وأجاد، فقال- رحمه الله-: «ورحى العبودية تدور على خمس عشرة قاعدة، من كملها كمل مراتب العبودية، وبيانها أن العبودية منقسمة على القلب واللسان والجوارح، وعلى كل منها عبودية تخصه، ثم فصل عبودية كل منها على حدة، وليس هنا مكانه»(16).

وإذا كانت العبادة في الإسلام، لها ذلك الشمول الذي ذكرناه، فأيّ العبادات أفضل وأحب وأحظى بالقبول عند الله تبارك وتعالى؟ وللإجابة عن هذا السؤال، أنقل لك ما قاله الإمام ابن القيم -رحمه الله- وهذا نصّه: «ثم أهل مقام «إياك نعبد» لهم في أفضل العبادة، وأنفعها، وأحقها بالإيثار والتخصيص، أربع طرق، فهم في ذلك أربعة أصناف: ولكل واحد منهم دليله:

الأول: عندهم أنفع العبادات وأفضلها: أشقها على النفوس وأصعبها.

الثاني: قالوا أفضل العبادات التجرد والزهد في الدنيا والتقلل منها غاية الإمكان.

الثالث: رأوْا أن أنفع العبادات وأفضلها ما كان فيه نفع متعد، فرأوه أفضل من ذي النفع القاصر، فرأوْا خدمة الفقراء، والاشتغال بمصالح الناس، وقضاء حوائجهم، ومساعدتهم بالمال والجاه، والنفع، أفضل.

الرابع: قالوا أن أفضل العبادة: العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته، بأفضل العبادات في وقت الجهاد الجهاد، والأفضل في وقت حضور الضيف مثلاً القيام بحقه،والأفضل في أوقات الصلوات الخمس الجد والنصح في أدائها على أكمل وجه».

فالأفضل في كل وقت وحال إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت والحال، والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه، وهذا الصنف هم أهل التعبد المطلق، والأصناف الثلاثة السابقة هم أهل التعبد المقّيد، لأنه متى خرج أحدهم عن النوع الذي تعلق به من العبادة وفارقه، ترى نفسه كأنه قد نقص وترك عبادته، فهو يعبد الله على وجه واحد، وصاحب التعبد المطلق «الصنف الرابع» ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره،

بل غرضه تتبع مرضاة الله تعالى أينما كانت، فمدار تعبده عليها، فهو لا يزال متنقلا في منازل العبودية، كلما رفعت له منزلة، عمل على سيره إليها، واشتغل بها حتى تلوح له منزلة أخرى، فهذا دأبه في السير حتى ينتهي سيره، فإن رأيت العلماء رأيته معهم، وإن رأيت العبّاد رأيته معهم، وإن رأيت المجاهدين رأيته معهم، وإن رأيت الذاكرين رأيته معهم، وإن رأيت المتصدقين والمحسنين رأيته معهم، فهذا هو المتمسك بـ{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} حقاً، القائم بهما صدقاً، ملبسه ما تهيأ مأكله ما تيسر، واشتغاله بما أمر الله به في كل وقت بوقته، يأنس به كل محق، ويستوحش منه كل مبطل، كالغيث حيث وقع نفع، وكالنخلة لا يسقط ورقها، وكلها منفعة حتى شوكها، فهو لله وبالله ومع الله، فواهاً له؟ ما أغربه بين الناس، وما أشد وحشته منهم، وما أعظم أنسه بالله، وفرحه له، وطمأنينته، وسكونه إليه»(17).

عرفنا أحبتي في الله فيما سبق، أن الغاية من خلق الإنسان هي إفراد الله تعالى بالعبادة، وهو حق الله تعالى عباده، وبقي أن نعرف لماذا هذه العبادة، وما الغاية من تكليفنا بهذه العبادة؟ مع العلم أنه تعالى هو الغني عنا؟ فلا تنفعه عبادة عباده، ولا تزيد في ملكه شيئاً، كما لا يضره إعراض من صدّ عنه، ولا ينقص من ملكه شيئاً؟ أم أن النفع يعود علينا؟ وما حقيقة هذا النفع؟ وللإجابة عن ذلك أحبتي في الله، نقول: إن العبادة هي حق واجب لله تعالى علينا، استحقه بمقتضى ربوبيته وألوهيته وكماله، ومن كمال الله تعالى أنه ما خلق شيئاً عبثاً، وإنما لحكمة بالغة، ومصالح راجحة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها، قال تعالى:{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ* لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ} (18).

والواجب على المرء أن يعلم أن الخالق المتفرد بالخلق وحده، له أن يخلق ما يشاء لما يشاء، لا يسأل عما يفعل سبحانه، فالعباد لا ينفعون الله ولا يضرونه، لأنه وحده النافع الضار، ولا يزيد في ملكه حمد الحامدين ولا ينقصه جحود الجاحدين، فهو الغني ونحن الفقراء إليه، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}

(19)، يقول ابن كثير –رحمه الله –: يخبر الله تعالى بغناه عما سواه، وبافتقار المخلوقات كلها إليه، وتذللها بين يديه، فهم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات، وهو تعالى الغني عنهم بالذات، ولهذا قال عز وجل {وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} أي هو المتفرد وحده لا شريك له، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله ويقدره ويشرعه(20).

وهو الودود الكريم والبر الرحيم، الذي لا يأمرنا إلا بما فيه خيرنا وصلاحنا، نحن المخلوقون فضلاً عن حقه تعالى في أن يفرض علينا ما شاء، يكلفنا ما يريد بحكم خلقه لنا وإنعامه علينا... إذ كيف يحتاج الخالق إلى من خلقه (21)، وقد أخبرنا على لسان نبيه سليمان – عليه السلام– في القرآن:{قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ}(22)، قال تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} (23)، وقال تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}(24) وقال عز وجل في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي؛ إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي؛ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي؛ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا...»(25).

ومن هذا كله يتبيّن أن النفع كل النفع يعود على الإنسان في عبادته لربه عز وجل مصداقاً لقوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ} (26).

واعلم أخي الحبيب وفقني الله وإياك لما يحبه ويرضاه، أن عبادتنا لله تعالى طمعاً في ثوابه، وخوفاً من عقابه، وإن شئت فقل: طلباً لجنته، وهرباً من ناره.

فعبادة الله تعالى خوفاً وطمعاً ورهباً، هو حال الأنبياء والرسل والصدّيقين والصالحين من بعدهم إلى يوم الدين، والقرآن والسنّة مملوءان بالثناء على عباده سبحانه وتعالى

وأولياه بسؤال الجّنة ودرجاتها، والإستعاذة والخوف من النار ودركاتها. نذكر بعضاً منها للدلالة على صحة قولنا، قال سبحانه في خواص عباده الذين عبدهم المشركون، ودْعوهم من دون الله ومع الله، {أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً} (27)، وقال عن خليله إبراهيم عليه السلام { وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ* رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ* وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ* وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ* وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ* وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ}(28).

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ، تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ -وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ- مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: يَقُولُ:فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؛ كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنْ النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ، يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنْ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ، لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ» (29).

نعم يا عباد الله، كيف لا نسأل الله تعالى جنته ونستعيذ من ناره، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه رضوان الله عليهم ويحثهم أجمعين قائلاً: « فَإِذَا

سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»(30) وعن أبي هريرة قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الْآخِرِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ؛ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»(31)، وفي هذا القدر كفاية لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

وأخيراً، بقي علينا أن نعرف أخي الحبيب أن الأعمال عند الله تعالى لا تقبل حتى تتوافر فيها أربعة شروط، هي:

أولاً: الإيمان بالله تعالى وتوحيده، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً} (32)، وقال سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً } (33) وعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ؟ قَالَ: قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ، فَاسْتَقِمْ»(34).

ثانياً: الإخلاص لله تعالى في العمل الذي لا رياء فيه ولا سمعة، قال الحق سبحانه: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}(35) وقال الله وتبارك وتعالى:{فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ}(36) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» (37) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة»(38).

ثالثاً: الموافقة والمتابعة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، لقوله تعالى:{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا}(39) وقوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(40) وقال الفضل بن عياض: في قوله تعالى {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}(41) قال: أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي؛ ما أخلصه وأصوبه؟ قال: العمل إذا كان خالصاً ولم يكن

صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السّنة(42).

رابعاً: أن لا ينقض صاحب العمل إيمانه بكفر أو شرك، بأن صرف شيئاً من العبادة لغير الله، كدعاء الأنبياء والأولياء والأموات والاستغاثة بهم، قال تعالى: {وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ} (43)، وقوله تعالى:{لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (44).

وفقنا الله لحسن عبادته واستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

الهوامش

1. الذريات: 56 ـ 58.
2. كتاب فتح المجيد وشرح كتاب التوحيد،عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ص 17 – 18، ط3، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الأمام النووي، المكتبة العلمية، ص 27 ـ 28.
3. الزمر: 2 – 3.
4. الأنبياء: 25.
5. النحل: 36.
6. مختارات من مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، الشيخ عبد العزيز بن باز، جمعية أحياء التراث الإسلامي.
7. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا.
8. الأعراف:172 – 173.
9. سلّم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول، حافظ بن أحمد الحكمي.
10. صلاح الأمة في علو الهمة، م7، ص 280.
11. ومن أراد المزيد من الفوائد فليرجع إلى رسالة الإمام ابن تيمية «العبودية» فهي بحق رسالة قيمة.
12. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بالركاب ونحوه.
13. صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب الآبار على الطرق إذا لم يتأذ بها.
14. رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، كتاب حسن الأسوة، 1 /564.
15. صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة تبع على كل نوع من المعروف.
16. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم الجوزية، م1، ص109 وما بعدها.
17. مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، م1، ص 85 – 90، تحقيق محمد حامد الفقي بقليل من التصرف.
18. الدخان: 38 – 39.

19. فاطر: 15.

20. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، م3، ص551، مكتبة دار التراث، القاهرة.

21. أنظر العبادة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص92 – 96.

22. النحل: 40.

23. لقمان: 12.

24. آل عمران: 97.

25. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم.

26. فصلت: 46.

27. الإسراء: 57.

28. الشعراء:82 – 87.

29. صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل.

30. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله.

31. صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة.

32. الكهف: 107.

33. الكهف: 30.

34. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام.

35. البيّنة: 5.

36. الزمر: 2.

37. صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله.

38. رواه البزار وأحمد، وقال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح، مجمع الزوائد، 1 /17.

39. الحشر: 7.

40. صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور.

41. الملك: 2.

42. راجع مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع، محمد زينو، ص257،ط5.

43. يونس:106.

44. الزمر:65.

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين، وبعد؛

فعلى الرغم من أن مهنة الطب مهنة إنسانية في الأساس، فإنها من المهن المعقدة والخطيرة، وذلك بحسب ما يترتب على الخطأ فيها من كوارث تمس حياة الإنسان بشكل مباشر، وقد تفضي إلى الوفاة في بعض الأحيان، وفي الحقيقة؛ إذا كانت نجاحات الأطباء تسطع سطوع الشمس في وسط النهار، فإن أخطاءهم تتوارى كما تتوارى القطة السوداء في ظلمات الليل البهيم، وبخاصة في هذا العصر، ومع هذا التطور المذهل والسريع في مجال العلوم الطبية.

وإذا ألقينا نظرة عامة حول الطب عند العرب والمسلمين، نجد كثيراً مما يسر له العقل والقلب ويفتخر به، سواء دورهم في الابتكارات الكشفية وتطوير الأبحاث الطبية، أو اهتمامهم باختيار الأطباء وإعدادهم إعداداً جيداً لمزوالة مهنة الطب، وأنهم أول من أسس المستشفيات أو البيمارستانات كما كانوا يسمونها، ولا زالت صورة كل من الرازي وابن سينا تزين المدخل الرئيس لكلية الطب في جامعة باريس، كما دُرِّست كتبهم لعهود طويلة في مدارس الطب في الغرب، حتى إن (كتاب الشفا) لابن سينا كان

يسمى إنجيل الطب عندهم لكثرة ما أخذوا عنه.(1)

وبالتوازي مع اهتمام المسلمين بالعلوم الطبية وبصحة الإنسان، فقد اهتم الفقهاء المسلمون بمسؤولية الطبيب أثناء عمله، وقد دفعني للكتابة في هذا الموضوع أسباب؛ أهمها: إظهار عظمة الفقه الإسلامي وروعته، وسبقه في تناوله للموضوع، رغم تباعد الزمان.

تعريف المسؤولية الجنائية للطبيب في الفقه الإسلامي:

إذا أردنا أن ننطلق إلى تعريف المسؤولية في الفقه الإسلامي نجد أن كتابات فقهاء المسلمين تتحدث عن الضمان كمصطلح مواز للمسؤولية، وذلك للدلالة على مسؤولية الشخص عن تصرفاته تجاه الغير، وقد عرّف الفقهاء المسلمون الضمان بأنه شغل الذمة بحق أو بتعويض عن ضرر، وفي اعتقادنا أن مصطلح الضمان بذلك المعنى يعني مصطلح المسؤولية، إذ يمكننا القول: إن المسؤولية اصطلاحاً هي: التزام الشخص بضمان الضرر الواقع على الغير نتيجة لتصرف قام به، أو هي صلاحية الشخص المكلف لتحمل نتائج أفعاله.(2)

وبناء عليه، فإن المسؤولية الجنائية للطبيب تعّرف بأنها: «التبعية الشرعية -القانونية أو الإلزامية- التي يتحملها الطبيب نتيجة أفعاله التي تستوجب عقوبة شرعية من حد أو قصاص أو تعزير».

طبيعة المسؤولية الطبية عند فقهاء المسلمين:

المقصود بطبيعة المسؤولية الطبية، نوع هذه المسؤولية، وأساسها القانوني الذي تقوم عليه، فالمسؤولية القانونية -بوجه عام- لها وجهان: أحدهما تقصيري، والآخر عقدي.

وتعّرف المسؤولية التقصيرية: بأنها إخلال بالتزام واحد لا يتغير، يتمثل في عدم

الإضراربالغير، فهي مسؤولية يفترض عدم وجود علاقة مسبقة بين طرفيها.

وبعض الفقهاء اعتبروا خطأ الطبيب من قبيل الخطأ التقصيري، ودليلهم القاعدة الفقهية القاضية بأن (ضمان الآدمي بالجناية لا بالعقد)، ومفاد هذه القاعدة؛ أن الطبيب لا يضمن ما يحدث للنفس الإنسانية، وما دونها، إلا إذا أثبت المتضرر خطأه.

وتعّرف المسؤولية العقدية: بأنها تقوم على الإخلال بالتزام عقدي، ويختلف نطاقها باختلاف ما اشتمل عليه العقد من التزامات. وأخذ الفقهاء الحكم باعتبار خطأ الطبيب من قبيل الخطأ العقدي، قياساً على الحكم في تضمين الصنَّاع، بافتراض أن هؤلاء الصناع أتلفوا أموال الناس، فلم يوجب الفقهاء على المدعين إثبات خطأ هؤلاء الصناع لعجزهم عن ذلك، فإن الأموال في أيدي الصناع لا يدري أصحابها كيف تصرفوا بها، وأجاز الفقهاء للمدعى عليه دفع التهمة عن نفسه، بإثبات حدود التلف بأمر لا يمكن التحرز منه، وقياساً على ذلك خطأ الأطباء، لتعلقه بمصلحة أوجبت في الاعتبار الشرعي، وهي حفظ دماء الناس وحياتهم.(3)

وتعد مسألة تحديد مسؤولية الطبيب، من المسائل الشائكة في فقه القانون، كما أن لها من الأهمية ما يجعلها ضمن المسائل التي يحتدم فيها كل من القضاء والفقه، على حد سواء. ولذلك آثرت عدم الدخول في مسؤولية الطبيب الجاهل والطبيب الحاذق وتعريف كل منهما، لأن القاعدة الشرعية واضحة: أن من يزاول عملاً أو علماً لا يعرفه يكون مسؤولاً عن الضرر الذي يصيب الغير نتيجة هذه المزاولة، وفي مسؤولية الطبيب الجاهل حديث صريح: «مَنْ تَطَبَّبَ، وَلَا يُعْلَمُ مِنْهُ طِبٌّ، فَهُوَ ضَامِنٌ»(4). وفضلت الحديث عن حكم الشرع عند ثبوت خطأ الطبيب.

حكم ثبوت خطأ الطبيب عند فقهاء الشريعة الإسلامية:

إذا ما تقررت مسؤولية الطبيب وثبت الخطأ منه، وجبت عليه الدية. وقد اختلفت الآراء في المال الذي تجب فيه الدية، على النحو الآتي:

أ) **مرحلة علاج المريض إلى حين شفائه أو موته:**

في معرض بيانه لهذه المرحلة، يقول القرشي أنه: «ينبغي إذا دخل الطبيب على المريض، أن يسأله عن سبب مرضه، وعما يجده من ألم، ثم يرتب له قارورة من الأشربة وغيرها من العقاقير، ثم يكتب نسخة لأولياء المريض بشهادة من حضر معه عند المريض. وإذا كان من الغد، حضر، ونظر إلى دائه. ونظر إلى قارورته، وسأل المريض هل تناقص به المرض أم لا. ثم يرتب له ما ينبغي على حسب مقتضى الحال. ويكتب له نسخة ويسلمها لأهله. وفي اليوم الثالث كذلك، وفي اليوم الرابع كذلك. وهكذا إلى أن يبرأ المريض أو يموت. فإن برئ من مرضه أخذ الطبيب أجره، وإن مات حضر أولياؤه عند الحكيم المشهور، وعرضوا عليه النسخ التي كتبها لهم الطبيب. فإن رآها على مقتضى الحكمة وصناعة الطب، من غير تفريط ولا تقصير من الطبيب، قضى بفروغ أجل المريض، وإن رأى الأمر بخلاف ذلك، قال: هلم خذوا دية صاحبكم من الطبيب، فإنه هو الذي قتله بسوء صناعته وتفريطه، فكانوا يحتاطون على هذه السنة الشريفة إلى هذا الحد. حتى لا يتهاون الطبيب».(5)

ب) **الدية الواجبة على الطبيب المسؤول والمال الذي تجب فيه:**

إذا قصر الطبيب فنتج عن تقصيره تلف المريض أو موته، وجبت عليه الدية، والدية تختلف عن القصاص، ونبين ذلك بالآتي:

1. **الدية والقصاص في الشريعة الإسلامية:** الدية شرعاً هي المال الذي يدفع بدلاً

للنفس أو لطرف من الأطراف، وقد شرعت في جرائم الإعتداء على سلامة جسم الإنسان، كالقتل وما دونه. سواء كانت متعمدة أو غير متعمدة .

أما القصاص؛ فالشرع الإسلامي قرر القصاص في الجرائم إذا كانت عمدية، {النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ}(6)، ولكن أجاز فيها الدية، وإذا رضي بها المجني عليه أو ذووه سقط حقهم في القصاص. وللقاضي حق تعزير الجاني، وذلك محافظة على صالح المجتمع وسلامته، وهو ما نسميه في الوقت الحاضر الحق العام .

أما جرائم الدم غير العمدية، فإن المشرع اكتفى بالدية فقط.

والدية كاملة: مئة من الإبل أو ألف دينار ذهب، ودية العين نصف دية، والأصبع عشر دية، والسن واحد من عشرين من الدية.

وتدفع الدية من مال الجاني في الجرائم المتعمدة، ومن مال عاقلته في الجرائم غير المتعمدة، كما أن الصلح يسقط الدية. والأصل في الصلح السنة والإجماع، وهو لا يجوز على أكثر ما تجب في الدية. لأن ذلك يعتبر ربا.(7)

2. المال الذي تجب فيه الدية محل الضمان: ويختلف حسب الحالة:

أ- حالة عدم صدور الإذن للطبيب بعلاج المريض: وفيها ثلاثة آراء:

* يكون الطبيب في هذه الحالة مسؤول عن الضرر الذي يمكن أن يحدث، على اعتبار أن الضرر تولد من فعل غير مأذون فيه، والضمان يكون بالدية على عاقلة الطبيب سواء كان حاذقاً أو غير حاذق.

* ذهب ابن القيم إلى أنه لا مسؤولية على الطبيب الحاذق، حصل الإذن أو لم يحصل، لأنه محسن وما على المحسنين من سبيل. بل إن مناط الضمان هو كون الفعل قد جاء

على وجه أو لم يجيء كذلك. وما دام الطبيب حاذقاً، وقد أتى بالفعل على وجهه، أو بذل فيه غاية جهده، فلا ضمان عليه ولا على عاقلته.(8)

* وذهب رأي ثالث إلى أن الضمان في هذه الحالة يجب أن يكون في بيت مال المسلمين، حتى لا يضيع دم مسلم خطأ، طبقاً لصريح نص القرآن الكريم، قال تعالى:{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً}(9)

ب- **حالة خطأ الطبيب في الاجتهاد: وفيه رأيان:**

* الأول: تكون دية المريض على عاقلة الطبيب إذا اجتهد، وأخطأ، وأدى اجتهاده إلى قتل المريض، ولا يعني إلقاء التعويض على عاقلة الطبيب عند من يقول بمؤاخذته واعتباره متعدياً بقدر ما يقصد إلى البحث عن مصدر لتعويض المتضرر عما لحق به، تطبيقاً للقاعدة الشرعية: لا يبطل دم في الإسلام.

* الثاني: أن الدية أو واجب التعويض تقع على بيت المال، نظراً لأن ما وقع منه لا يعد خطأ بالمعنى الحقيقي، فقد اجتهد وهو مؤهل لهذا الاجتهاد، لكن أخطأ في اجتهاده لتشابه العلامات والأمارات، وهذا هو المعنى الذي التفت إليه القائلون بإيجاب التعويض على بيت المال، وقصدهم تشجيع الاجتهاد، وذلك أخذاً بالحديث الشريف «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»(10).

ج- **حالة الخطأ في تطبيق العلاج:**

بداية، يجب على الطبيب العناية بمريضه، والتبصر والتحوط في علاجه، فلو أعطاه دواء لا يناسبه دون إجراء الإختبارات اللازمة، فمات المريض منه، وجب الضمان على الطبيب، وإذا أخطأ بالعلاج ونال عضو من الجسم بتلف، رغم حذقه أو إذن المشرع أو إذن المريض، فإذا بلغ الضرر الثلث أو زاد، فالدية تكون على عاقلة الطبيب. فإن لم

تكن له عاقلة، ففي مال الطبيب، وفي رأي آخر أنها تكون في بيت المال، على اعتبار أن خطأ الطبيب كخطأ القاضي والحاكم، ممن نصبهم ولي الأمر للنفع العام، أو على حد التعبير الشرعي لحسبة المسلمين.

والآن، وبعد أن استعرضنا مسؤولية الطبيب الجنائية وأحكامها في الشريعة الإسلامية، فإننا نستنتج ما يأتي:

أولاً: فرق فقهاء الشريعة الإسلامية –في نطاق المسؤولية الطبية– بين الخطأ والتقصير، كما أنهم كانوا ينفون الخطأ عن الطبيب فيما هو من إطلاقاته، تشجيعاً له على البحث، وتوسيعاً لآفاق علم الطب.

ثانياً: أن الفقهاء قد قسموا الضرر الذي يلحق المريض من الطبيب إلى أربعة أقسام:

1. أن يكون موت المريض أو تلف عضو منه بسبب أمر لم يكن في الحسبان، ولم يكن باستطاعة الطبيب، مع حذقه وتقديره والإحتياط له، فالطبيب هنا لم يكن به تقصير يجعله مسؤولاً على أي حال.

2. أن يكون التلف قد أصاب العضو أو الجسم بسبب خطأ عملي وقع الطبيب به، وفي هذا يكون الضمان بلا ريب، وفي مذهب ابن حنبل خلاف: أيكون الضمان في بيت المال أم في مال الطبيب؟

3. تلف الجسم بسبب خطأ في وصف الدواء، لكن الطبيب قد اجتهد وأعطى الصنعة حقها، وفي هذه الحالة يكون الضمان ثابتاً، وهو بالدية على قتل كان خطأ، وقد تكون الدية على عاقلة الطبيب أو من بيت المال.

4. في الأقسام الثلاثة السابقة كان التطبيب بإذن المريض أو ولي أمره، أما إذا كان الخطأ أو التقصير على أية صورة من الصور السابقة بغير إذن من المريض أو ولي أمره،

فالفقهاء متفقون على أن الضمان يكون ثابتاً، لأنه فعل أدى إلى هلاك النفس، أو عضو فيها، بغير إذن من وليها، فيكون مسؤولاً عنها، والضمان على العاقلة.

ثالثاً: تبين أن موجبات المسؤولية الطبية تقع في حالات؛ منها: العمد، والخطأ، ومخالفة أصول المهنة الطبية، والجهل، وعدم وجود إذن المريض أو ولي أمره، وغرور الطبيب، والمعالجات المحرمة، أضيف لها إفشاء سر المريض إلا في الضرورة القصوى.

رابعاً: تنتفي المسؤولية عن الطبيب عند علماء الشرع في أربعة أمور؛ إذن الشارع، ورضاء المريض، وقصد الشفاء، وعدم وقوع خطأ عمد أو تقصير من الطبيب.

خامساً: الشريعة الإسلامية تبيح للأطباء الاجتهاد في علاج الأمراض، وكانت التجارب الطبية تدون في كتب خاصة ليقرأها جمهور الأطباء.

سادساً: سن فقهاء الشريعة الإسلامية سنة، تعدُّ بمثابة مدرسة في دقتها ومنهجها لإثبات خطأ الطبيب، ولو طبق مثلها اليوم لحلت العدالة، وارتفع مستوى الطب في عصرنا الحاضر، وهذه السنة أن يلزم كل طبيب بتدوين كل خطوة يعملها للمريض كتابة وبشهادة شهود، حتى إذا وقع الخطأ يكون بإمكان الأطباء الخبراء تقرير خطأ الطبيب من عدمه، وفي هذه الحالة يكون كل طبيب حريصاً أقصى الحرص على عدم التهاون وعدم الإهمال في علاجه للمريض، ويكون حريصاً على المطالعة لكل جديد، وبهذا ترتقي مهنة الطب إلى أعلى مستوياتها. لأنه يكون مسؤولاً أمام الله وزملائه والقضاء.

وبناء على ما تقدم نوصي بتطبيق قواعد الشريعة الإسلامية على مهنة الطب بشكل خاص، لتعلقها المباشر بحياة الإنسان، وعلى جوانب الحياة الأخرى لتحقيق العدالة للإنسان الذي خلقه الله وكرمه على سائر مخلوقاته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش

1. حنا، منير رياض، المسؤولية المدنية للأطباء والجراحين، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ط1، 2007م،ص16.

2. الركاض، زامل شبيب، الفقه الإسلامي يفرض مسؤوليات على الطبيب المسلم، جريدة الشرق الأوسط، القاهرة، العدد 8782 ديسمبر2002.

3. د.سراج، محمد أحمد، ضمان العدوان في الفقه الإسلامي، بند 450، ص577.

4. سنن أبي داود، كتاب الديات، باب فيمن تطبب بغير علم فأعنت.

5. د. الجوهري، محمد فائق، المسؤولية الجنائية في قانون العقوبات، رسالة دكتوراة، 1952، ص35.

6. المائدة:45

7. راجع بحث الاستاذ .مصطفى عبد العزيز الخولي، المحامي، تحت عنوان (الخطأ القاتل في شرع من قبلنا والإسلام والقانون) – مجلة المحاماة، العددان السابع والثامن –سبتمبر واكتوبر–1985 القاهرة–ص132 – 133.

8. أبو زهرة، محمد: عن مقالة له (المسؤولية الطبية في الشريعة الإسلامية) مجلة لواء الإسلام، العددان 11و12 لعام 1949م.

9. النساء:92

10. صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ.

الشباب أمل الأمة وعماد نهضتها

الأستاذ / يوسف خليفة

الشعب الفلسطيني شعب فتي، حيث تزيد نسبة الشباب والأطفال عن ثلثي تعداد السكان، فمن هنا يجب الاهتمام بهذه الفئة، ومن جميع الجوانب الثقافية والتعليمية والاجتماعية والمشاركة السياسية ... الخ.

إن نظرة سريعة إلى الدعوات الناجحة، تبين لنا أن نجاح هذه الدعوات يعود إلى دور الشباب الكبير والمتميز، فدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام نجحت، وعم نورها مشارق الأرض ومغاربها، لمشاركة الشباب في هذه الدعوة والدفاع عنها، فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان عمره أربعين سنة عند البعثة، وأبو بكر رضي الله عنه كان أصغر منه بثلاث سنين، وعمر رضي الله عنه كان عمره سبعاً وعشرين سنة، وعثمان رضي الله عنه كان أصغر من النبي ﷺ، وعلي كان أصغر من الجميع، وهكذا كان عبد الله بن مسعود ومصعب ابن عمير ومعاذ بن جبل وبلال بن رباح وعمار بن ياسر، وعشرات غيرهم، بل المئات كلهم كانوا شباباً.

هؤلاء الشباب هم الذين حملوا على عواتقهم أعباء الدعوة، وهم الذين استعذبوا في سبيل نجاحها أرفع آيات الصبر والعذاب والتضحية والفداء، وهم الذين واصلوا

الليل بالنهار حتى حققوا الهدف الأسمى لحياتهم وهو انتشار الإسلام؛ إسلام التوحيد والوحدة والتعاون والعدل والرحمة والعفو.

استطاع هؤلاء الشباب بتضحياتهم الجسام إقامة دولة الإسلام حكومة وقيادة، وقد امتدت دولة الإسلام إلى الصين شرقاً، والمغرب غرباً، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

إن أجدادنا العظام هم الذين تربوا على الإيمان والإسلام، وتخرجوا في مساجد مكة والمدينة والقدس ودمشق وقرطبة والقاهرة وبغداد والكوفة ...

هؤلاء الأبطال هم الذين هذبوا نفوسهم، واتقوا الله عز وجل، ونشروا العلم والعدل، بدل الجهل والظلم، وأعلنوا الحرية بدل العبودية، بذلوا المال، وصانوا الأعراض والحرمات، وعاشوا أعزاء، جباههم لم تخضع إلا لله، وعقولهم متفتحة للحق، ترفض كل باطل.

عملوا للآخرة ولم ينسوا الدنيا، حكموا الدنيا فملؤوها أمناً وسلاماً، ورحمةً وعدلاً، جيلهم فريد لا كالأجيال، هم رجال وأي رجال، وصدق الله في الحديث عنهم: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ}(1)

الإسلام لم يغفل عن أهمية فئة الشباب، فهذا رسول الله ﷺ يولي قيادة جيش المسلمين أسامة بن زيد مع أن أسامة بن زيد كان شاباً في سن العشرين، وكان تحت لوائه شيوخ المهاجرين والأنصار كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وهم من هم في سبقهم إلى الإسلام، وحسن بلائهم فيه، وتقدمهم في العمر والمكانة على أسامة في هذه السنة النبوية الحميدة، إلغاء للفوارق بين الناس من جاه وسن وفضل، وأنه تقديم للكفء الصالح مهما كان عمره ومكانته، وهذا الأمر، وهو تولي أسامة قيادة الجيش لم يغضب

كبار السن أو ممن سبق دخوله الإسلام، ولم يغضبهم أن يكونوا تحت إمرة أسامة الشاب، وهذا يدل على مدى التهذيب النفسي والخلقي الذي وصلوا إليه بفضل تربية وتنشئة رسول الله ﷺ لهم، رضي الله عنهم.

إن في تأمير أسامة بن زيد على أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي سابقة عظيمة لم تعهدها أمة من الأمم، فهي تدل على وجوب فتح المجال لأصحاب الكفاءات من الشباب، وتمكينهم من قيادة الأمور حين يكونون صالحين لذلك، ومؤهلين عملياً وإدارياً، وهذا عظيم لنا، لو عملنا به لاختفت من تاريخ الأمة مصائب وكوارث، ومنح لشباب أمثال أسامة بن زيد، بثقة رسول الله ﷺ، فأسامة هو خير قدوة لشبابنا المخلصين العاملين.

الشباب هم أمل الأمة، يتحلون بالفضائل ويتخلون عن الرذائل، فجدير بالشاب الذي يطمح للمعالي أن يتحلى بالفضائل والقيم النبيلة، التي أمرت بها الشريعة، وأن يلتزم بالمبادئ الخلقية التي دعا إليها القرآن الكريم، وحض عليها الرسول ﷺ، وبهذا يكون الشاب المسلم قدوة صالحة للناس، فيتأثرون به ويأخذون عنه، ولا شك أن الدعوة بالحال قبل المقال، والتربية بالقدوة من أكبر العوامل في إصلاح الأفراد، وهداية الأمم، وأن الالتزام بالأعمال المطابقة للأقوال هو من أجمل الصفات التي يجب أن يتحلى بها المسلم، وأما أولئك الذين تخالف أقوالهم أعمالهم، فعليهم أن يفهموا قول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ}(2)

وعليهم أن يتأملوا قول الله عز وجل : { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ}(3)

وصدق من قال:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وكذلك على شبابنا بعد تحليهم بالأخلاق الفاضلة، وتخليهم عن الرذائل، أن يكونوا قدوة حسنة، بالقيم والمثل الرفيعة التي يحملونها، وتمسكهم بالإسلام العظيم أن يعتنوا بمظهرهم، فالمسلم مميز بعقيدته ومظهره ولباسه، فلا يجوز للمسلم أن يقلد غيره في زي ولا يجاري أحداً في مظهر، ليكون له مكان الصدارة ومرتبة السيادة، فالمسلم لا يقلد غيره تقليداً أعمى، لأن التقليد الأعمى دليل الهزيمة الروحية والنفسية، وفيه معنى ذوبان الشخصية وفقدان الذاتية، وهذا رسول الله ﷺ يوصينا أن نتبع سنن الإسلام وطرائق الخلفاء الراشدين، فقال ﷺ: «... فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(4) .

نهينا عن التقليد الأعمى، لأنه يفضي بالأمم والشعوب إلى الهلاك المحقق والدمار المحتوم، فتفقد الأمة كل مقومات وجودها وأسباب بقائها وعزتها، لأنها تسلك طريق الفسوق والعصيان، وأن انتشار الرذيلة سبب انهيار الدول، وهذا يؤكده قول الكاتب الفرنسي (اندريا موروا) في كتاب (أسباب انهيار فرنسا) «من أهم أسباب هزيمة فرنسا في الحرب العالمية الثانية تفسخ الشعب الفرنسي نتيجة لانتشار الرذيلة بين أفراده».

إن التقليد الأعمى للأجانب في حياتهم وأخلاقهم يدفع كثيراً من الشباب لأن يتركوا واجباتهم الدينية ومسؤولياتهم الإجتماعية، مما يؤثر سلباً على عجلة البناء الاقتصادي والإجتماعي والحضاري، ويؤخر تقدم أمتنا وبناء نهضتنا، ويقوّض صرح كياننا الإسلامي، ويدك بنيانه من القواعد، وهذا ما يخطط له الأعداء، فهم يستهدفون

إفساد المجتمعات الإسلامية عن طريق الخمر والجنس والمخدرات.

إن المحتل الغاصب يسعى إلى زيادة وتسهيل انتشار المخدرات في أوساط شعبنا الفلسطيني، حيث يستغل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والأمنية لشعبنا، ويدفعهم لهذا بمحاولاته المتكررة لنشر الرذيلة والفساد بين صفوف شبابنا، ليتخلوا عن خيار المقاومة، وهذا يدفعنا للاهتمام بفئة الشباب من حيث التوعية على المخاطر والمخدرات وغيرها من الأشياء السيئة، وأن نركز على دمجهم في الأنشطة المختلفة، وأن يشاركوا في الأعمال التطوعية، وعلى أصحاب القرار أن يضعوا القوانين والتشريعات المناسبة للحد من تعاطي المخدرات والمتاجرة بها وزراعتها، وأن يكون هناك تنسيق مباشر بين الوزارات المختلفة للتعامل مع هذه الظاهرة الخطيرة، من حيث الوقاية والتوعية والعلاج .

وأما دور العلماء ورجال الإسلام فدورهم كبير ومسؤوليتهم عظيمة، فعليهم أن يحضوا الشباب على القيم النبيلة والمثل الرفيعة، وأن يبينوا الحكم الشرعي في ظاهرة المخدرات، وأن يقوموا بدور التوعية والمعالجة لمن سقط في هذه الجريمة، حتى يخرج منها سليماً، وأن يعود إلى الصراط المستقيم، ليعود عنصراً نافعاً وفاعلاً في مجتمعه.

لا شك أن التاريخ الإسلامي حافل بنماذج رائعة وعظيمة من الشباب الأبطال الذين قدموا لدينهم وأمتهم كل خير، وضربوا أروع الأمثلة في البطولة والشجاعة، ومن أمثلة ذلك: مصعب بن عمير رضي الله عنه، أول سفير في الإسلام لأهل يثرب، فأسلم على يديه سادات الأنصار لصبره وحكمته وأدبه في دعوتهم، وكذلك نرى شجاعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين نام في فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة، ولم يبال بالخطر الذي يتهدده.

وكذلك بطولة الشابين الصغيرين عوف ومعوذ ابني العفراء حينما أصرا على ملاحقة أبي جهل في معركة بدر، وقتله، يقول عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت، فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن، فقال لي أحدهما سراً عن صاحبه: يا عم ! أرني أبا جهل، فقلت: يا ابن أخي، ما تصنع به؟ قال: عاهدت الله إن رأيته أن اقتله أو أموت دونه.

وقال لي الآخر سراً عن صاحبه مثله، فأشرت لهما إليه، فشدا عليه مثل الصقرين، فضرباه حتى قتلاه، وقد استشهد هذان البطلان في بدر، وهما: عوف بن الحارث الأنصاري ومعوذ بن الحارث الأنصاري .

فإذا كانت معنويات الفتيان الأحدث بهذا المستوى الرفيع، فكيف تكون معنويات الرجال؟ وأخيراً: قوة كل أمة بقوة شبابها، والشباب هم أمل كل أمة حية، وهم عماد نهضتها، وعنوان رقيها، فهم حراس حدودها، وجنودها البواسل الذين يحمون الثغور، ويدفعون الأعداء بالصدور، فلا يسعنا إلا أن نحيي شبابنا، شادين على أيديهم، ليمضوا قدماً نحو الحرية والاستقلال، وبناء دولتنا المستقلة، وعاصمتها القدس الشريف.

الهوامش

(1) آل عمران: 110.

(2) الصف: 2 – 3.

(3) البقرة: 44.

(4) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة.

أخطاء الخطباء !!

الأستاذ ياسين السعدي / جنين ـ فلسطين

أقصد بالخطباء هنا، خطباء المنابر الدينية أيام الجمع خاصة.

فالمنابر الدينية قصرٌ على موظفين معينين من قبل السلطة السياسية، ولها برامجها الأسبوعية، وكثيراً ما تتحدث عن مناسبات معينة تمر بها الأمة أو تمر ذكراها.

وقد يكون فارس المنبر على قدر من النباهة والثقافة، فيحسن القول، ويجيد التعبير، وهناك من يلجأ إلى التهويل والمبالغة، ويبدأ في إظهار براعته في سرد المعلومات التي كثيراً ما تكون مغلوطة أو غير دقيقة.

الخطيب الجيد هو الخطيب المتمكن من لغته أولاً؛ بحيث لا يلحن، أو يقل اللحن في لغته على الأقل. أما إذا كان ممن (يفكون الحرف) فهو (يخبص) إذا اعتمد الحديث بالفصحى، ولكن منهم من يلجأ إلى قاعدة: (سَكِّنْ تسْلمْ)، وذلك لكي يتجنب سلق الألسن له.

الخطيب الجيد هو من يتمتع بموهبة الخطابة، والقدرة على التأثير في المستمعين، وشد انتباههم؛ حتى لو كانت أخطاؤه اللغوية كثيرة، ولكن يقدم معلومات يستفيد منها السامعون.

أما عندما يكون الخطيب غير متسلح بسلاح الخطابة الأول، وهو سلامة اللغة،

والسلاح الثاني، وهو المعلومة الصحيحة، ثم الركيزة الأولى في فن الخطابة، وهي الموهبة والقدرة على التعبير، فتلك هي الطامة الكبرى؛ لأن الناس ينفضون عنه إذا كان الاجتماع مفتوحاً، وله (باب للهرب)، أو يأخذ بعضهم (غفوة) إذا كان في المسجد، ولا يستيقظ إلا عندما يسمع النداء لإقامة الصلاة.

نماذج

الخطيب الديني المبدع والممتع يبحث الناس عنه، ويتسابقون إلى سماع خطبه، ويتساءلون عن المسجد الذي يلقي فيه خطبته، وخصوصاً بعد أن وضعت مديريات الأوقاف برامج توزيع (الأدوار) بحيث لا يظل الإمام في مسجد معين. واعترف بأني من هذا النوع من المصلين، الذين يبحثون عمن أتوسم فيه فائدة معرفية، ومتعة في السماع، والاستمتاع بما يحرك العقل، ويهواه الضمير من القول المستنير.

أنا أبحث عن الإمام المجدد في موضوعاته التي يطرحها، والذي يجهد نفسه بتحضير الموضوع الذي يتحدث فيه، ويتصف بالشجاعة والجرأة، ولكن من غير تهويل ولا تهويش. وأهرب من صاحب الخطاب المكرر و(المقرر).

كان معظم المثقفين في جنين يؤمون (مسجد القاضي) لسماع خطب الشيخ خالد سليمان قبل أن يدخل المجلس التشريعي في الانتخابات الأخيرة. وكان يكثر من التفاخر بأني أستاذه، وبأني الذي حببت اللغة العربية إليه، فأنا أيضاً لا أخفي اعتزازي بأنه من أكثر طلابي نجابة ونباهة.

وعندما أجرت وزارة التربية والتعليم سنة 1996م المسابقات في الميادين الأدبية، كنت معلماً في مدرسة عز الدين الإعدادية، فقمت بالتدريب المكثف لأحد طلابي

الموهوبين في الأداء الخطابي الجيد، والصوت الجهوري، والتفوق في حفظ النصوص، والأداء المتميز في التعبير، والتناغم في المواقف وتنسيقها الجيد، فقد كان ترتيبه الأول على جميع المتسابقين في جناحي الوطن عن المرحلة الإعدادية، وذلك هو الشهيد كامل خالد السيلاوي، رحمه الله، الذي استشهد بتاريخ6 /9 /2002م مع رفيقه سمير قنديل.

وقد رعيت في الفترة نفسها الطالب مهند ناجح جرار وقمت بتدريبه، فكان ترتيبه الثاني في المرحلة الثانوية على مستوى الوطن بجناحيه كذلك.

صليت الجمعة يوماً في مسجد مخيم الأمعري سنة 2006م، حيث كنت أعمل في جريدة القدس الغراء، فكان الخطيب شاباً ذا هيئة مرتبة، وصاحب صوت جميل، وأداء جيد، وقوة في التعبير ومقدرة على التأثير في السامعين. لكن الأهم من ذلك كله، هو الدقة في المعلومات، والقدرة الفائقة في إيصال ما يريد إلى قلوب السامعين بهدوء وروية وإقناع وإمتاع كذلك، بحيث ظل المصلون مشدودين إليه منذ اعتلى المنبر إلى أن نزل عنه.

بعد الانتهاء من أداء الصلاة تقدمت منه مصافحاً بحرارة، وشددت على يديه للدلالة على إعجابي الشديد بهذا الخطيب المتفوق فعلاً، والمتميز بأسلوبه البلاغي. سألت الشيخ الفاضل الشاب عن اسمه فذكر أنه (... القصراوي) حيث نسيت الاسم الأول، وعرفت أنه من قرية رابا في محافظة جنين. هنأته وشددت على يديه مرة أخرى، وتمنيت له التوفيق، وتمنيت أن يكثر أمثاله في مساجدنا.

نموذج مغاير

بالرغم من التطور الواضح في تعيين الأئمة (الخطباء)، حيث صاروا أكثر وعياً بأدوارهم، وأكثر تسلحاً بالعلم، إلا أن هناك من يعمد إلى الأسلوب القديم من الصراخ،

وعنصر المبالغة في إيراد الأمثلة للتأثير في السامعين.

اختفت كتب (الخطب المنبرية) التي كانت تضم خطباً معروفة يقرأ الخطيب واحدة منها حسب الترتيب الزمني لكل جمعة من شهور السنة الهجرية. وصار الخطباء يقفون على المنابر، فيرتجلون خطبهم، أو يتابعونها من خلال ملاحظات على ورقة صغيرة تضم العناصر التي يريد الخطيب أن يتحدث فيها، ومع ذلك نجد بعضهم يقرأ خطبته (المقررة) من ورقة مكتوبة، وليس ذلك عيباً في الخطيب، ولكن الخلل هو كثرة الأخطاء؛ بالرغم من أن المفروض أن تقل لأنه يكون قد راجع ما كتب وتدرب عليه.

ولكن الخطأ الأكبر هو الخطأ في المعلومة التي يقدمها الخطيب. قبل مدة غير بعيدة أديت صلاة الجمعة في مسجد (ما)، كان الخطيب شاباً صاحب هندام مرتب وصاحب صوت فيه قوة ونبرة خطابية مقبولة، لكنه استعمل أسلوب المبالغة المفرطة في الدلالة على ما كان يطرحه من معلومات لا أعرف من أين استقاها.

ذكر في أحد المواقف للدلالة على عظمة الإسلام وقوة المسلمين، وقدرتهم على درء الأخطار، وهزيمة الأعداء، بأن ملك فرنسا؛ لويس التاسع قاد حملة صليبية على بلاد المسلمين، لكن السلطان سليمان القانوني قتله، وقطع رأسه، وأرسله إلى فرنسا.

يبدو أن الشيخ الخطيب لا يعرف أن لويس التاسع هاجم مصر في آخر عهد الدولة الأيوبية، وذلك سنة 1250م، وأُسر في معركة المنصورة، وافتدى نفسه، وعاد إلى فرنسا حياً ورأسه على جسده. وأن السلطان سليمان القانوني عاش من 1495 إلى 1566م، وحكم بعد والده السلطان سليم الأول منذ 1520م ويفصل بينهما 316 عاماً.

أما الخطأ الثاني الذي وقع فيه الخطيب، فهو معلومة مغلوطة كذلك، وهي عن الحروب

الصليبية. فقد ذكر أن البيزنطيين استطاعوا دخول بيت المقدس، فسفكوا الدماء، وقتلوا 70 ألفاً في يوم واحد. ويقصد الصليبيين طبعاً، ويبدو أنه اختلط عليه الوضع، فظن أن الصليبيين هم البيزنطيون، وذلك خطأ واضح، لأن البيزنطيين قاوموا الصليبيين عندما حاولوا عبور حدودهم في الحملة الصليبية (البدائية) التي سبقت الحملة الصليبية الأولى، وسميت ب (حملة الفقراء) بقيادة بطرس الناسك، وفشلت تلك الحملة في الوصول إلى البلاد المقدسة.

لكي يكون الخطيب مقنعاً ومؤثراً في جمهوره، فلا بد له أن يكون دقيقاً في سرد معلوماته التي يقدمها، ولا يتكئ على أسلوب المبالغة والتهويل في تقديم الأرقام حتى لو كانت من مصادر معينة؛ لأن منها ما هو منقول من مصادر تعتمد المبالغة والتهويل، كما ذكر الخطيب نفسه أن المغول قتلوا في بغداد مليونين من البشر في أقل من شهر.

أو كما قال خطيب آخر قبل مدة طويلة بأن المغولي كان يطلب من المسلم أن ينتظره إذا التقاه في الطريق في بغداد حتى يحضر سيفه، ليقتله به، فيجده في مكانه ينتظره فعلاً. فهل يمكن أن يحدث هذا إلا مع أحمق؟ وإذا حدث مرة؛ فهل كان هذا نموذجاً سائداً؟ وهل يمكن أن يسير جندي في وسط معادٍ له من غير سلاحه؟

صيغة المبالغة عند الخطيب تفسد الخطاب، وتجعل السامعين غير مقتنعين، حتى لو أورد الخطيب في المرات التالية معلومات دقيقة وصادقة.

مثلما أن الإسلام متميز عن غيره من الديانات والأفكار، فإن الاقتصاد الإسلامي بالضرورة متميز عن غيره من الاقتصادات، على اختلاف أسمائها ومسمياتها؛ وسنحاول في هذه الدراسة إلقاء نظرة على خصائص يتميز بها الاقتصاد الإسلامي عن غيره، تماماً كما يمتاز منهاج الله عن غيره من مناهج البشر وتصوراتهم.

خصائص الاقتصاد الإسلامي

يتميز الاقتصاد الإسلامي عن غيره من حيث إنه اقتصاد جاء بقواعد وأصول عامة وثابتة، تصلح لكل زمان ومكان، أما أهم خصائصه؛ فهي:

أولاً: الاقتصاد الإسلامي اقتصاد إلهي؛ فالاقتصاد الإسلامي قائم على شرع الله، مما يجعل من أصوله وتشريعاته ثابتة غير قابلة للتغيير أو التبديل.

ثانياً: الاقتصاد الإسلامي اقتصاد عقائدي؛ فالاقتصاد الإسلامي قائم على أسس عقائدية، نذكر منها ما يأتي:

1) الإيمان التام بأن الله سبحانه وتعالى هو المالك الحقيقي والأصلي لعناصر الإنتاج، مصداقاً لقوله:{وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(1).

2) أن الله تعالى خلق السماوات والأرض، وسخرها لخدمة الإنسان من أجل إشباع حاجاته، قال تعالى: { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ

رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ}(2).

3) الإيمان بأن الناس متفاوتون في الأرزاق، وأن الله جعلهم درجات، وذلك لحكم لا يعلمها إلا الله، قال تعالى: {وَاللّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاء أَفَبِنِعْمَةِ اللّهِ يَجْحَدُونَ}(3).

4) الإيمان بأن ممارسة النشاط الاقتصادي المتمثل في طلب الرزق عبادة، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}(4).

5) الإيمان أن الله سبحانه سيحاسب الناس يوم القيامة على ما فعلوه في الحياة الدنيا، قال تعالى: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ* عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}(5).

6) الإيمان بأن الله عز وجل لا تخفى عليه خافية، لأنه الرقيب العتيد يراقب الفرد عن كل تصرفاته(6)، قال تعالى: { يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ }(7).

ثالثاً: الاقتصاد الإسلامي اقتصاد أخلاقي؛ فالنظام الاقتصادي الإسلامي أخلاقي من حيث اعتماده على القوانين الربانية التي تضمن العدالة لبني البشر، أما الاقتصاد الرأسمالي؛ فهو يعتمد القوانين التي يشرعها الأقوياء والأثرياء من أصحاب رؤوس الأموال الضخمة، التي تزيد فقر الفقراء وغنى الأغنياء، كما يزيد الفجوة بين الأقوياء والضعفاء؛ لذلك نشاهد اليوم اختفاء الطبقة المتوسطة بعد انفراد الرأسمالية بالهيمنة على العالم(8)، ليصبح العالم مكوناً من طبقتين لا ثالث لهما: فقراء وأغنياء.

السلوك الاقتصادي الإسلامي سلوك أخلاقي، ومن أهم الصفات الخُلُقية الحميدة التي يجب أن يتحلى بها المسلم، ما يأتي:

1. الأمانة: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}(9)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ» (10).

2 – الصدق : قال تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً}(11)، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا، بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا، مُحِقَ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا»(12).

3 – الوفاء بالوعد، حيث قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ}(13).

4 – السماحة والمرونة، حيث قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}(14)، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى»(15).

5 – ممارسة النشاط الاقتصادي المشروع، والابتعاد عن الحرام، قال تعالى: { وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا }(16).

6 – الاعتدال في الربح والقناعة فيه، حيث روي عن علي بن أبي طالب –كرم الله وجهه– أنه قال: «معاشر التجار؛ خذوا الحق تسلموا، لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره».

7 – المحافظة على المال وعدم تبذيره، حيث قال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً}(17).

8 – إنفاق المال في سبيل الله(18)، حيث قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}(19).

رابعاً: الاقتصاد الإسلامي فريد من نوعه ومستقل عن غيره؛ فهو فريد من نوعه لأنه من عند الله، وهو يستمد مقوماته من الكتاب والسنة، على العكس من الاقتصادات الأخرى التي تستمد أسسها من فكر البشر واجتهاداتهم.

خامساً: الاقتصاد الإسلامي يعتبر أن الأرض تتسع لبني البشر من حيث الرزق على مدى الزمان؛ فأرض الله واسعة حيث خلقها كذلك، ورزق الله واسع كثير يتسع للجميع، حيث قال تعالى: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}(20).

سادساً: الاقتصاد الإسلامي اقتصاد واقعي؛ فواقعية الإسلام تنبع من أنه يستمد قواعده من متطلبات الواقع الذي يكون عليه المسلم في حياته الدنيا، فهو لا يلتفت إلى فرضيات خيالية لا يمكن تحقيقها، وأن الإسلام لا يحمله من التكاليف ما لا يطيق، ولا يفرض عليه ما لا يستطيع أداءه(21). قال تعالى: {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا}(22).

سابعاً: الاقتصاد الإسلامي يمتاز بحرية التعامل فيه؛ فالأصل أن الإسلام لا يتدخل في حرية المسلم الاقتصادية، إلا إذا كان لهذا التدخل ما يبرره، مثل تحقيق منفعة، أو دفع ضرر، ومنها:

- ما يتعلق بالمحافظة على حقوق اليتامى، كقوله تعالى: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ}(23).
- ومنها ما يتعلق بالوفاء بالكيل والميزان، قال تعالى: {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}(24).
- ومنها ما يتعلق بأموال الناس، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ } (25).
- ومنها ما يتعلق بالربا، قال تعالى: { وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا } (26).
- ومنها ما يتعلق بالعدالة المطلقة، قال تعالى: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}(27).

الهوامش

1) آل عمران: 189.

2) إبراهيم: 32 – 34.

3) النحل: 71.

4) الملك: 15.

5) الحجر: 92 – 93.

6) رضا صاحب أبو احمد، الخطوط الكبرى في الاقتصاد الإسلامي، ط1، عمان: دار مجدلاوي، 2006، انظر الصفحات 28 – 31.

7) غافر: 19.

8) رفيق يونس المصري، الاقتصاد والأخلاق، ط1، دمشق: دار القلم & بيروت: الدار الشامية، 2007، صفحة12

9) الأنفال: 27.

10) سنن الترمذي، كتاب البيوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ما جاء في التجار وتسمية النبي صلى الله عليه وسلم إياهم.

11) الأحزاب:23.

12) صحيح مسلم، كتاب البيوع، باب الصدق في البيع والبيان.

13) المائدة:1 .

14) آل عمران:159 .

15) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقا.

16) البقرة: 275.

17) الفرقان:67 .

18) المرجع السابق، الخطوط الكبرى في الاقتصاد الإسلامي، انظر الصفحات 31 – 34.

19) الصف: 10 – 11.

20) هود: 6.

21)المرجع السابق، الخطوط الكبرى في الاقتصاد الإسلامي، صفحة 38.

22) البقرة: 286.

23) الضحى: 9.

24) الإسراء: 35.

25) النساء: 29 .

26) البقرة: 275.

27) النحل: 90.

الزواج حكمه وحكمة مشروعيته في الفقه الإسلامي

الدكتور شفيق عياش / جامعة القدس

الزواج في اللغة: الاقتران والارتباط، فإذا ارتبط الزوجان بعقد النكاح يطلق على كل واحد منهما اسم الزوج(1).

والنكاح في اللغة: الضم والجمع، وسمي الزواج نكاحاً لما فيه من ضمّ أحد الزوجين إلى الآخر حتى صارا فيه كمصراعي الباب(2).

أما في الاصطلاح الشرعيّ؛ فقد تنوعت ألفاظ الفقهاء قديماً وحديثاً في تعريف عقد الزواج أو النكاح، إلا أن جميعها تتفق على أن عقد الزواج هو مجموع إيجاب أحد المتكلمين مع قبول الآخر(3)، فعقد الزواج يتكون من مجموع الإيجاب والقبول، فلا يكون الزواج بالإيجاب وحده من غير قبول، ولا بقبول من غير إيجاب.

ويمكن تعريف عقد الزواج شرعاً بأنه: «عقد الرجل على امرأة تحل له، بحيث يفيد حل استمتاع كل منهما بالآخر على الوجه المشروع»(4).

أما في قانون الأحوال الشخصية؛ فقد نصت المادة الثانية على تعريف الزواج بأنه: «عقد بين رجل وامرأة تحل له شرعاً، لتكوين أسرة، وإيجاد نسل بينهما».

والعقد اتفاق يبنى عليه التزام وآثار قانونية، أمّا الاتفاق الذي لا يترتب عليه آثار قانونية فلا يسمى عقداً، كالاتفاق على القيام برحلة، والوعد بالخطبة، وغير ذلك.

وطرفا عقد الزواج هما الرجل والمرأة، ولذا نصّ عليهما في التعريف.

وقد أبان التعريف الغاية من عقد الزواج، وهي تكوين الأسرة، وإيجاد نسل بين الزوجين.

وقد حث الإسلام على الزواج، وجاءت النصوص الكثيرة تأمر بالزواج وترغب فيه، فقال الله تعالى: {وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}(5) وقال أيضاً: {فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء}(6)، وقال صلى الله عليه وسلم: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ؛ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»(7)، وقال : «انْكِحُوا أُمَّهَاتِ الْأَوْلَادِ، فَإِنِّي أُبَاهِي بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(8).

حكم الزواج:

للزواج أحكام متعددة تبعاً لحال الشخص:

1. يكون الزواج واجباً في حال ما إذا كان الرجل شديد الرغبة في النساء، بحيث يتيقن بأنه إذا لم يتزوج فسوف يقع في الفاحشة، وذلك مع كونه قادراً على أعباء الزواج ونفقته.

2. ويكون الزواج حراماً، إذا تيقن أنه إذا تزوج فسوف يظلم المرأة، كما لو كان لا شهوة له بسبب المرض أو الكبر، أو أنه لن يقدر على الإنفاق عليها.

3. يكون مندوباً في حال كون الشخص معتدل الشهوة، بحيث يقوى على ضبط نفسه، ولا يخاف ارتكاب المعصية، وهو مع ذلك يقدر على أعباء الزواج(9).

ويلاحظ أن الشريعة الإسلامية لا تكثر من إيجاد الدوافع الخارجية للأشياء التي لها دوافع من داخل النفس الإنسانية؛ كالنكاح، والطعام، والشراب، فبيان مشروعية النكاح

كاف في دفع المكلفين إليه، وردع الذين يدعون إلى العزوبة والتبتل والترفع عن الزواج، فإذا استقر في النفوس أن النكاح مندوب وفضيلة، فإن الغريزة الجنسية تكفي لدفع صاحبها إلى الزواج دون الحاجة إلى أوامر صارمة كي يستجيب المرء لنداء الفطرة.

وقد اعتاد المسلمون أن يحيطوا عقد الزواج بهالة من القدسية، فهم لا يحتفلون بعقد البيع أو الإجارة أو غيرها من العقود احتفالهم بعقد الزواج.

فعند الزواج يدعى الأقارب والجيران والأصدقاء لحضور العقد، وتخطب فيه خطبة تبدأ بالتسمية، والثناء بحمد الله، والصلاة على رسوله، ويشار فيها إلى الآداب والأخلاق التي يجب أن يتحلى بها الأزواج، وحقوق كل منهما على الآخر، ثم يجري الإيجاب والقبول بحضور الشهود، وقد أمر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بإعلان النكاح، كما شرعت فيه الوليمة والدعاء للزوجين بالبركة واليمن(10).

حكمة مشروعية الزواج:

للزواج أهمية عظيمة في حياة الأمم والأفراد، ويمكن تبرير ذلك عبر النقاط الآتية:

1. إيجاد السكن النفسي الذي أشار إليه الله تعالى بقوله: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}(11).

2. بقاء النوع الإنساني: فالزواج ينتج النسل القوي الصالح، ويؤدي لعمارة الكون، وكثرة عدد الأمة المسلمة، التي تحمل لواء الحق والجهاد ما بقيت الحياة (12).

3. في ظلال بيت الزوجية تتربى الأجيال، وتجد الأمن والرعاية والتوجيه.

4. الاستجابة لنداء الفطرة، وتلبية الحاجة الغريزية بطريقة فكريّة تختلف عن طريقة التمييز الغريزي التي يشبع بها الحيوان غرائزه وحاجاته العضوية، فالحيوان لا يهمه

سوى مجرد الإشباع، أما الإنسان، فيفكر في طريقة الإشباع وكيفيته، لا في مجرد الإشباع.

5. تهذيب النفس، وكبح جماحها، وغض البصر، وتحصين الفرج، فعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا تزوج العبد، فقد استكمل نصف دينه، فليتق الله في النصف الباقي»(13).

الهوامش

1. لسان العرب : 2/ 60.

2. مغني المحتاج : 3/ 123.

3. حاشية ابن عابدين: 2/ 614.

4. عبد الرحمن تاج، أحكام الأحوال الشخصية، ص13.

5. النور: 32.

6. النساء :3.

7. صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم من استطاع منكم الباءة.

8. مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما.

9. الاختيار لتعليل المختار: 2/ 82.

10. د. عمر الأشقر، الواضح: ص26.

11. الروم :21.

12. د. محمد عقلة، نظام الأسرة: 1/ 115.

13. أخرجه الذهبي في ميزان الاعتدال.

ثمانية فرص ذهبية لنجاح الحياة الزوجية

الأستاذ : إسلام محمد سليم أبو إهليل / دورا ـ الخليل

تتعرض الحياة الزوجة لاحتمال النجاح والفشل لأسباب مختلفة، ونود هنا عرض فرص ذهبية لنجاحها، على النحو الآتي:

أولاً: الكلمة الطيبة صدقة: لا بد أن يكون هناك كلمات غزل ومحبة بين الزوجين، وأن يطلق الزوج لقباً لزوجته، مثلاً يا حبيبتي، وأن يكثر من مدحها، خصوصاً أمام أهلها، وأن يكثر من شُكرها، لأن «مَنْ لَمْ يَشْكُرْ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرْ اللَّهَ»(1)، وإن الله يحب الشاكرين.

ثانياً: العبادة الجماعية: من حفظ القرآن والمنافسة على حفظ الأحاديث، وصلاة الجماعة وعمل دروس دينية في البيت، والحرص على تبادل المواعظ والحكم وعمل مسابقات دينية.

ثالثاً: عمارة البيت بالقرآن: الحرص على عدم هجر القرآن والمداومة على قراءة سورة البقرة في البيت، لأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنْ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»(2) والتمسك بالأدعية كدعاء الخروج، ودعاء الدخول والسلام على أهل البيت، ودعاء الجماع، وعدم وضع الصور والتماثيل في البيت، لأن الملائكة لا تدخل بيتاً به صور أو تماثيل.

رابعاً: الغيّرة: لولا الغيّرة لما كان هناك حُب، وخير مثال قصة الرسول صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة، حيث قامت أُم سلمة بعمل الطعام للرسول صلى الله عليه وسلم، وأحضرته إليه في بيت عائشة، ومن غيّرة عائشة رضي الله عنها قامت بإسقاط

الطعام من يد أُم سلمة، ووقع على الأرض، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم غارت أُمكم، وقال: طعام مكان طعام، وإناء مكان إناء.

خامساً: لكل عُمر جمالهُ: فَمثلاً جمال الزوجة في عُمر العشرين سنة يختلف عنه في عُمر الأربعين، وهذا يعني أن المرأة تبقى تتزين وتتجمل، ولكن يُراعى العمر الزمني، وتبقى العِشرة وتدوم، لأن أساس الجمال الحقيقي هو التفاهم.

سادساً: القوامة: الرجال قوّامون على النساء، الرجل مثل قائد السفينة «رُبان السفينة» وعندما أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن المرأة ناقصة عقل ودين، لم ينتقص من قدر النساء وكرامتهن، بل إلى أن المرأة ناقصة عقل، أي أن شهادة المرأة نصف شهادة الرجل، وناقصة دين؛ أي أنه يأتيها أيام لا تصلي ولا تصوم فيها بسبب الحيض والنفاس، ومن مقومات القوامة أيضاً أن يخدم الرجل زوجته، ويكون هناك تعاون مشترك في أمور البيت ومساعدتها ومساندتها.

سابعاً: لا تنسوا الفضل -العهد- بينكم: ومن رزقهُ الله امرأة صالحة أعانهُ الله على شطر دينه، ومسكين رجل ليس له امرأة، وإن كان كثير المال، ومسكنية امرأة ليس لها رجل، وإن كانت كثيرة المال.

ثامناً: سريعاً أنهوا المشكلة: كما يُقال العتاب صابون القلوب، ولا بُد من أن يكون هناك نقاش وحوار وصراحة والمبادرة بالمصالحة، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ»(3) ونشير هنا إلى سُرعة حَلّ المشكلة، وليس فوراً، لأن الغضب سيّد الموقف، أي بعد لحظات تهدأ فيها الأمور، ويكون هناك جو ملائم للعتاب والصراحة ولمناقشتها وإنهاء المشكلة من أساسها.

الهوامش:

1. سنن الترمذي، كتاب البروالصلة عن رسول الله، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك.
2. صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد.
3. سنن أبي داود، كتاب النكاح، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء.

من أخبار ونشاطات مكتب المفتي العام

ومراكز دار الإفتاء الفلسطينية

إعداد: الأستاذ مصطفى أعرج / نائب المدير العام لمديرية العلاقات العامة والإعلام

في كلمته بذكرى الإسراء والمعراج
سيادة الرئيس : على اسرائيل أن تزيل جميع المستوطنات
المفتي العام : معجزة الإسراء والمعراج توثق ارتباطنا ببيت المقدس

رام الله : أكد سيادة الرئيس محمود عباس (أبو مازن) حفظه الله على وجوب إزالة جميع المستوطنات، جاء ذلك خلال رعاية ومشاركة سيادته في الاحتفال الذي أقيم بذكرى الإسراء والمعراج في مقر قصر الثقافة برام الله، وأكد سيادته أن شعبنا وسلطته الوطنية سوف يواجهون ممارسات الاحتلال القمعية في القدس، وأضاف أن القدس المباركة تتعرض هذه الأيام لأخطر الانتهاكات وأشد عدوان من قبل سلطات الإحتلال الإسرائيلي.

وفي كلمته أكد سماحة الشيخ محمد حسين/ المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، أن معجزة الإسراء والمعراج توثق ارتباطنا ببيت المقدس، وأضاف أن ثبات شعبنا وصبره سيقوده إلى النصر المؤزر وإلى الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف بإذن الله تعالى.

المفتي العام يترأس الجلسة الحادية والثمانين لمجلس الإفتاء الأعلى

القدس: ترأس سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، رئيس مجلس الإفتاء الأعلى – الجلسة الحادية والثمانين لمجلس الإفتاء الأعلى، وقد افتتح سماحته الجلسة مستعرضاً الأوضاع التي يمر بها شعبنا الفلسطيني، وشجب جرائم الاحتلال بحق المتضامنين الذين أبحروا لفك الحصار عن غزة، وجلب المعونات الإنسانية لها، واحتسب المجلس الذين سقطوا جراء العدوان الإسرائيلي عليهم شهداء عند الله، وتمنى الشفاء العاجل للجرحى، وثمن المواقف التضامنية المشرفة لتركيا حكومةً وشعباً مع شعبنا الرازح تحت نير الاحتلال.

كما ثمن مواقف جميع الحكومات والشعوب التي شاركت في قافلة الحرية وأيدتها، من أجل فك الحصار عن أهلنا في غزة، وناقش المجلس بعض المسائل الفقهية، وشكل لجاناً من أعضائه لصياغة القرارات الصادرة بالخصوص.

خلال مهرجان نظمه اتحاد نقابات العمال

المفتي العام يدعو إلى عدم العمل في المستوطنات

القدس: دعا سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية - العمال الفلسطينيين إلى وقف العمل في المستوطنات الإسرائيلية، أو التعامل مع بضائعها

ومنتجاتها، جاء ذلك خلال مهرجان نظمه اتحاد نقابات العمال في القدس، حيث تم تكريم سماحته تقديراً لجهوده في إنجاح المهرجان، والدفاع عن القدس والمقدسات، واعتبر سماحته اختيار اتحاد نقابات العمال القدس لإقامة الاحتفال بأنه خطوة إيجابية، وذلك للفت الأنظار لما يعانيه عمال القدس يومياً جراء الممارسات العدوانية الإسرائيلية ضدهم، وفضح الخروقات الإسرائيلية ضد المسجد الأقصى المبارك والمقدسات الفلسطينية.

المفتي العام يشارك في اجتماع ممثلي المؤسسات والمرجعيات المقدسية بالقدس

القدس: شارك سماحة الشيخ محمد حسين –المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك– في الاجتماع التشاوري الذي عقده ممثلو المؤسسات

المقدسية في القدس، وذلك لبحث شؤون المدينة المقدسة، وما يمكن تقديمه لخدمة المواطنين فيها، وحضره عدد من ممثلي الجهات الرسمية الفلسطينية والنقابات والغرف التجارية والجمعيات والفنادق والمؤسسات الإعلامية والشركات الاستثمارية، وأكد سماحته على ضرورة دعم صمود المواطن المقدسي للوقوف أمام الغطرسة الإسرائيلية التي تمارسها هذه السلطات ضد الشعب الفلسطيني ومقدساته.

خلال مشاركته في إحياء ذكرى النكبة

المفتي العام يضع إكليلاً من الزهور على ضريح الجندي المجهول

القدس: شارك سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك – أبناء الشعب الفلسطيني في الوطن والشتات إحياء ذكرى النكبة، حيث وضع سماحته إكليلاً من الزهور على ضريح الجندي المجهول في القدس، وقال سماحته: تتزامن الذكرى الثانية والستين للنكبة هذا العام مع تصعيد غير مسبوق في مدينة القدس، ومحاولات تهويدها، وطمس معالمها الأثرية العربية والإسلامية، والتضييق على المواطنين عبر سياسات الحصار والخنق الاقتصادي والتطهير العرقي،

وأضاف: إن وجودنا هنا بالقرب من ضريح شهداء الواجب، لهو تأكيد على صمود المقدسيين، وعلى الهوية العربية والإسلامية للمدينة المقدسة.

خلال صلاة الجمعة في خيمة الاعتصام

المفتي العام: خيمة البستان رمز لصمود المقدسيين في وجه مخططات الاحتلال

القدس: ألقى سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك – خطبة الجمعة في خيمة الاعتصام بحي البستان، والتي يقيمها الفلسطينيون رداً على تهديدات سلطات الاحتلال بهدم المباني في هذا الحي،

وأكد سماحته أن هذه الخيمة أصبحت عنواناً لكل أبناء فلسطين، ورمزاً لصمود المقدسيين الفلسطينيين ورباطهم عند أبواب المسجد الأقصى المبارك والقدس، مشيراً إلى أن الغاية من الصلاة في خيمة البستان تتمثل في المرابطة من أجل حماية هذا الحي، وبالتالي حماية القدس، لأن سلوان هي البوابة الجنوبية للمسجد الأقصى المبارك، وبالتالي فإن الأجر والثواب عند الله سبحانه وتعالى كبيران جداً، ثم أمّ سماحته المصلين.

المفتي العام يستقبل القنصل الفرنسي العام

القدس: استقبل سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك – سعادة السيد فريدريك ديسا جينكيز/ القنصل الفرنسي العام، حيث أطلع سماحته الضيف على الأوضاع الصعبة التي يعيشها أبناء الشعب الفلسطيني ومقدساته، وبين سماحته أن سلطات الاحتلال ومستوطنيها صعدوا اعتداءاتهم ضد المواطنين العزل الأبرياء، وضد أماكن العبادة والمقدسات الفلسطينية، وطالب سماحته القنصل الفرنسي بنقل هذه الصورة إلى بلاده، مثنياً على الروابط التاريخية بين الشعبين الفلسطيني والفرنسي، شاكراً الحكومة الفرنسية والاتحاد الأوروبي على مواقفه الداعمة للشعب الفلسطيني ولقضيته العادلة.

المفتي العام يتفقد مسجد اللبن الشرقية

اللبن الشرقية: قام سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك – على رأس وفد من دار الإفتاء الفلسطينية بتفقد مسجد اللبن الشرقية الذي أحرقه قطعان المستوطنين، وبين سماحته أن الاعتداء على المساجد يأتي ضمن سياسة مبرمجة تهدف إلى تأجيج الصراع، وتظهر مدى الاستهتار بالقيم الدينية والإنسانية للآخرين، مبيناً أن المساجد في فلسطين تتعرض لحملات من قبل سلطات الاحتلال ومستوطنيها، ودعا المواطنين إلى اليقظة والحرص من اعتداءات المستوطنين، ثم أمّ سماحته المصلين في صلاة الظهر.

المفتي العام يشارك في اليوم العالمي للصحافة

القدس: شارك سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك – في اليوم العالمي للصحافة، الذي أقامه نادي الصحافة المقدسي بالقدس، وحضره عدد من الشخصيات الرسمية والشعبية، وبين سماحته أهمية الصحافة خاصة في هذه الأيام، مشيراً إلى ما تعانيه من مضايقات سلطات الاحتلال، وناشد سماحته الصحفيين بنقل أخبار الأوضاع الصعبة والمعاناة التي يعيشها شعبنا إلى العالم، لفضح سياسات الاحتلال وغطرسته.

الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية يترأس اجتماعاً لأسرة تحرير مجلة الإسراء

القدس: بالإنابة عن سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، المشرف العام لمجلة الإسراء – ترأس فضيلة الشيخ إبراهيم عوض الله – الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية، رئيس تحرير مجلة الإسراء – اجتماعاً لأسرة التحرير، نوقشت فيه آلية العمل في المجلة، والخطوات المتبعة في النشر، كما تم بحث

مقترحات تتعلق بأرشفة المجلة، والاحتفاظ بها بطرق مناسبة كي تبقى مرجعاً متناولاً لدى القراء والباحثين، وحضر الاجتماع الشيخ الدكتور إسماعيل نواهضة، والأستاذ الدكتور حسن السلوادي، والشيخ الدكتور حمزة ذيب، والشيخ الدكتور سعيد القيق، والشيخ

الدكتور شفيق عياش/ أعضاء هيئة التحرير، والسيد مصطفى أعرج/ نائب المدير العام للعلاقات العامة والإعلام، والسيد يوسف تيسير/ سكرتير التحرير.

الوكيل المساعد يشارك في ورشة عمل حول «كيف نحمي أبناءنا المعاقين»

رام الله: شارك فضيلة الشيخ إبراهيم عوض الله -الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية، مفتي محافظة رام الله والبيرة- في ورشة عمل بعنوان «كيف نحمي أبناءنا المعاقين»، حيث بين فضيلته أن الدين الإسلامي يحث على رعاية المعوقين من ناحية أخلاقية وإنسانية وعقائدية، وإن الاهتمام الكامل بذوي الاحتياجات الخاصة يقع على الأسرة والمجتمع، وأن علينا أن نحمي أبناءنا، وعدم حصر هذا الدور بمؤسسات التربية الخاصة فقط، بل يجب دعوة المجتمع أيضاً للاهتمام بشؤون المعاق ورعايته، وعدم استغلاله لكونه إنساناً ضعيفاً لا يستطيع الدفاع عن نفسه.

مفتي الخليل يشارك في ورشتي عمل

الخليل: شارك فضيلة الشيخ «محمد ماهر» مسودة -مفتي محافظة الخليل - في ورشتي عمل عقدتا في المحافظة، حيث شارك في ورشة عمل بعنوان «حق المواطنة والهوية»، والتي عقدت في إقليم وسط الخليل «فتح»، بدعوة من طاقم شؤون المرأة، وفي ورشة عمل أخرى حول «مشروع تسجيل البلدة القديمة على قائمة التراث العالمي»، والتي عقدت في مجمع إسعاد الطفولة، علماً بأن فضيلته يلقى العديد من الدروس الدينية، ويساهم في حل العديد من النزاعات العائلية، في محافظة الخليل.

محاضرات دينية لمفتي طوباس

طوباس: ألقى فضيلة الشيخ حسين عمرو -مفتي محافظة طوباس- عدداً من المحاضرات الدينية، منها محاضرة في جمعية طوباس الخيرية، تحدث فيها عن رعاية اليتيم وكفالته، والاهتمام بحقوقه، وبيان فضل

ذلك وأهميته في المجتمع الإسلامي، الذي يجب أن يسوده التكافل والتراحم والمحبة، كما ألقى محاضرة في مديرية التوجيه السياسي في المحافظة، حضرها عدد من منتسبي الأجهزة الأمنية، تحدث فيها عن أهمية الالتزام الديني لرجل الأمن، كما ألقى محاضرة أخرى حول «قدسية العمل وعمارة الأرض»، والتي نظمتها هيئة التوجيه السياسي والوطني في المحافظة، تحدث خلالها عن فن التعامل مع الجمهور وأساليبه.

مفتي جنين السابق يشارك في ندوة حول الحلال والحرام

جنين: شارك فضيلة الشيخ محمد سعيد صلاح – مفتي محافظة جنين السابق – في ندوة دينية بعنوان «الحلال والحرام»، التي نظمتها دائرة الفتوى والتشريع في المحافظة، وأكد فضيلته أهمية دور الأسرة في رعاية الأبناء وتوجيههم، وتحدث عن الأدوار في الحياة التكاملية، مبيناً أن المسؤول قائد في موقعه، والمسؤولية الأولى تقع على عاتق الأسرة، كما شارك فضيلته في إلقاء العديد من خطب الجمعة والدروس الدينية، بالإضافة إلى المساهمة في حل العديد من النزاعات العائلية والعشائرية في المحافظة.

مفتي طولكرم يلقي محاضرات دينية

طولكرم: ألقى فضيلة الشيخ عمار بدوي –مفتي محافظة طولكرم– محاضرات دينية في مقر زاوية الشيخ حسين القاسمي في الخليل، تطرق فيها إلى العديد من المسائل الفقهية، التي تركزت حول المعاملات المالية في الإسلام، وحضرها العديد من الأئمة والدعاة، كما ألقى محاضرة في مقر دائرة أوقاف طولكرم عن الفرقة الأحمدية، بيّن فيها نشأة هذه الفرقة والأفكار الضالة التي تحملها، كما بيّن تحريفها للآيات القرآنية، وأشار إلى الأحكام الشرعية التي صدرت عن مجامع الفقه الإسلامية العالمية وعن مجلس الإفتاء الأعلى في فلسطين بخصوص هذه الفرقة.

مفتي بيت لحم يشارك في الفعاليات الاحتجاجية ضد جدار الفصل العنصري

بيت لحم: شارك فضيلة الشيخ عبد المجيد العمارنة -مفتي محافظة بيت لحم- في الفعاليات الاحتجاجية التي أقامتها اللجنة الشعبية لمقاومة الجدار في المحافظة، حيث ألقى فضيلته خطبة الجمعة بجوار جدار الفصل العنصري في قرية واد رحال، كما شارك في فعاليات اللجنة الشعبية لمقاطعة منتجات المستوطنات، والتي انطلقت من ساحة المهد في المحافظة، وشارك كذلك في افتتاح معرض الكتاب السنوي، الذي نظمته مدرسة هيرمان جمايز، وحضره عدد من المسؤولين الرسميين والشعبيين.

مفتي نابلس يلقي العديد من المحاضرات والدروس الدينية

نابلس: ألقى فضيلة الشيخ أحمد شوباش -مفتي محافظة نابلس- العديد من المحاضرات والدروس الدينية، فقد ألقى فضيلته محاضرة بعنوان: «قيمة العمل وحقوق العمال»، في مقر المديرية العامة للعمل النسوي في وزارة الأوقاف، حضرها واعظات ومحفظات للقرآن في المحافظة، بيّن فيها أهمية العمل وأحكامه الشرعية، كما ألقى محاضرة لمجموعتين من شرطة الأمن العام تناول فيها القيم الأخلاقية لعمل رجل الأمن، وألقى كذلك درساً دينياً لمجموعة كشفية في مخيم كشفي في مدرسة ابن قتيبة، تحدث فيها عن مرحلة الطفولة والشباب، وكيف سلك النبي محمد صلى الله عليه وسلم في تربية الشباب، وضرب أمثلة تبين التزام الشباب المسلم، وقامت هيئة التوجيه السياسي في المحافظة بتكريم فضيلته تقديراً لجهوده التي يبذلها في نشر الدين وخدمة المواطنين.

مسابقة العدد 92

أسئلة المسابقة:

1. اكتب آية قرآنية تتضمن قَسَماً صريحاً لإبليس بالله.
2. متى يكون الزواج واجباً ؟
3. كم سنة تعدل ليلة القدر في ضوء قوله تعالى: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ»؟
4. من ... ؟
   - أ- أم المؤمنين التي أسقطت السيدة عائشة وعاء الطعام من يدها؟
   - ب- الصحابيان اللذان قَتَلا أبا جهل؟
   - ج- صاحب مقال «أخطاء الخطباء»؟
   - د- صاحب كتاب «الشِّفا»؟
5. ما ... ؟
   - أ- اسم باب الجنة الذي يدخل منه الصائمون؟
   - ب- كفارة الجماع من قبل الصائم في نهار رمضان؟
   - ج- المقصود بأهل الصُّفّة؟
   - د- الأيام البيض التي يسن صومها شهريّاً؟
   - هـ- حكم خلع الضرس ورقعه للصائم في شهر رمضان؟
   - و- السنة في توقيت السُحور والإفطار؟

تنبيه: يمكن استخراج إجابة أسئلة المسابقة من محتويات هذا العدد

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: 300 شيكل

الجائزة الثانية: 250 شيكل

الجائزة الثالثة: 200 شيكل

ملحوظتان :

- يرجى كتابة الاسم الثلاثي حسب ما ورد في البطاقة الشخصية (الهوية)، والعنوان البريدي، ورقم الهاتف والإجابات بخط واضح .
- ترسل الإجابات على العنوان الآتي :

مسابقة الإسراء، العدد 92

مجلة الإسراء / مديرية العلاقات العامة والإعلام

دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب : 20517 القدس الشريف

ص.ب : 1862 رام الله

إجابة مسابقة العدد 90

ج1: 1976م

ج2: أ-ما زاد عمرها عن ستة أشهر من الضأن.

ب- أن يستوعب جميع ما في الإناء، مأخوذ من الشفافة وهي ما بقي في الإناء من الشراب.

ج- لا يجوز.

د- يسقطان.

هـ- مسجد بلال بن رباح- بيت لحم.

و- تقارب ألف آية.

ج3:أ- أبو بكر الصديق.

ب- ابن حجر العسقلاني.

ج- الإنسان.

الفائزون في مسابقة العدد 90

المرتبة	الإسم	العنوان	قيمة الجائزة بالشيكل
الأولى	موسى محمد هماش	بيت لحم	250
الثانية	محمد عبد الكريم يونس	طولكرم	200
الثالثة	إبراهيم مصطفى حبش	نابلس	150

ضوابط يجب مراعاتها عند الكتابة لمجلة الإسراء

حرصاً على التواصل بين مجلة «الإسراء» وقرائها الكرام، فإننا نتوجه لأصحاب الأقلام من الأدباء والمفكرين وأصحاب الفضيلة العلماء أن يثروا مجلتهم بالكتابة فيها، للاستفادة من عطائهم الكريم، آملين أن تصلنا مشاركاتهم من خلال المقالات والأبحاث والقصائد الشعرية، الهادفة النيرة، وملاحظاتهم السديدة، علماً أن موضوعات المجلة متنوعة، تشمل المجالات الدينية والإنسانية والثقافية والعلمية والتكنولوجية والتراثية والتاريخية، ويخصص لكل موضوع ينشر مكافأة مالية جيدة.

ونلفت الانتباه إلى ضرورة مراعاة قواعد الكتابة وضوابطها، ومنها :

1. طباعة المادة المراد نشرها على الحاسوب، وترسل عن طريق البريد الإلكتروني، أو باليد.
2. ألا يزيد المقال عن 5 صفحات حجم A4، والبحث من 10 - 12 صفحة.
3. كتابة نصوص الآيات من المصحف الرقمي مع التشكيل، وتوثيق أرقامها.
4. تخريج الأحاديث، وأن تكون مشكلة، وصحيحة.
5. التوثيق عند الاقتباس سواء من الإنترنت أو الكتب والمراجع والمصادر الأخرى.
6. عمل هوامش ختامية، تشمل المعاني والتوثيق ... إلخ.

نستقبل المراسلات على العنوان الآتي :

القدس : مجلة الإسراء / فاكس : 6262495 ص.ب: 20517

الرام : تلفاكس : 2348603 ص.ب 1862

E.mail : info@darifta.org - israa@darifta.org